

نهاية العالم

فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

رئيس مجلس الإدارة:
إبراهيم سعده

بسم الله الرحمن الرحيم

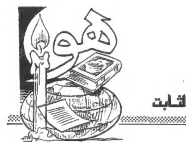
بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.
أسأل الله أن تكون هذه الكتب
التي تصدر عن مكتبتي خطوة على
طريق الهدى ونور أمام الأجيال
والله نسأل الهداية والتوفيق

محمد متولي الشعراوي

الغلاف بريشة
الفنـان : سيد عبدالفتاح

الإخـراج الفني
عبد الكريم محمود

الفصل الأول



المتغير والثابت

الحديث عن نهاية العالم أخذ اهتماما من العلماء ، ومن الدجالين والمشعوذين وغيرهم ، كل واحد منهم يحاول أن يتنبأ . . باليوم أو الوقت الذى سينتهى فيه العالم الذى نعيش فيه . وكل النظريات العلمية التى قيلت أو التى تقال ، أساسها التخمين والظن وليس العلم ، ذلك لأن العلم البشرى ـ بطاقته المحدودة ـ لايمكن أن يصل إلى يقين حول هذا الموضوع ، فعلم الفضاء مازال كطفل يحبو . . وإذا كانت آخر الاكتشافات التى وصلت اليها البشرية ، تقول أن هناك نجوما وشموسا أبعد عن الأرض بمليون سنة ضوئية أو أكثر ، فإن ما نعلمه أقل القليل بالنسبة لما نجهله فى هذا الكون الفسيح . .

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم أن السماء هى كل مافوقنا . . فمعنى السماء هو ما يظلك من فوقك ، والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

(الآية ٤٧ سورة الذاريات)

والاتساع هنا بالنسبة للسماء هو اتساع بقدرات الله وليس بقدرة البشر ، ولذلك كلما اعتقد العلماء أنهم وصلوا إلى نهاية ، وجدوا كشفا جديدا يتعارض مع ما أعلنوه يفتح لهم آفاقا جديدة ، وتتغير النظريات كل عدة شهور ، تثبت هؤلاء أنهم ظنوا فقط أنهم وصلوا إلى الحقيقة ، ولكنهم لم يصلوا إلى شيء .

فإذا مانظرنا إلى العرافين والدجالين وجدنا أنهم فى كل عام أو عدة أعوام يتنبأون أن نهاية العالم ستحدث فى يوم كذا!! والعجيب أن عددا كبيرا من الناس يصدقهم .. رغم أنهم لايستندون إلى علم .

لقد حدث فى أمريكا أن تنبأ أحد الدجالين بأن العالم سينتهى يوم كذا ، فصدقه الناس وتركوا منازلهم وصعدوا إلى أعلى الجبال ظنا منهم أنها تنجيهم ، وطبعا مر اليوم ولم يحدث شىء ، وعرف الناس أنهم خدعوا .

وهناك عشرات العرافين من الهنود والسيخ وغيرهم ، يعطون نبوءات عجيبة عن نهاية العالم كلها خاطئة ، لاتقوم على علم ولاعلى فهم ، وإنما هى مجرد شعوذة يقصد منها كسب المال .. ذلك أن موعد نهاية العالم لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .. لأن له موعدا حدده الله جل جلاله ، ولم يطلع عليه أحدا حتى أقرب ملائكته .

وقبل أن نبدأ الحديث لابد أن نتكلم عن الثابت والمتغير ..

فالثابت هو الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى من أجل الانسان . لقد جعل الله هذا الكون الفسيح من سماء وأرض وما بينهما مسخراً من أجل الانسان يؤدى مهمته كما أرادها الله بنظام ثابت لا يتغير ، أما الانسان الذى خُلِقَ من أجله الكون .. فهو الذى يتغير ..

إن الانسان يتغير من قوة إلى ضعف ، ومن صحة إلى مرض ، ومن قوة إلى عجز ، ومن حياة إلى موت ، ومن عقل

إلى جنون .

فالمتغيرات كثيرة فى حياة الناس من حال إلى حال . . بخلاف الكون الذى من طبيعته الثبات وعدم التغير .

اننا اذا لاحظنا التغير الذى يعترى الإنسان نجده يتم بقانون لانعرفه ، فانتقال الانسان من الصحة إلى المرض ، أو من القدرة إلى العجز ، أو من الحياة إلى الموت ، وهى أشياء ليست لها عمومية الحدث ، بمعنى أننا لا نستطيع أن نحدد متى ينتقل الإنسان من الصحة إلى المرض ، ولو عرفنا تحديده وقوانينه ربما استطعنا أن نمنعه ونتحكم فيه ، وهو قانون غائب عنا برغم كل ما يقوله العلماء ، فإصابة الإنسان مثلا بجلطة فى المخ أو ذبحة صدرية أو غير ذلك ، لم يستطع الطب أن يصل فيه إلا إلى قانون الاحتمال الذى يقوم على أساس الاحصاءات التى قد تعطينا بعض الاحتمالات ، ولكنها مجرد ظن لايستند إلى حقيقة علمية .

كذلك انتقال الإنسان مثلا من الغنى إلى الفقر ، أو من الفقر إلى الغنى ليس له قانون نعرفه ، وكذلك كل المتغيرات التى تحدث فى حياتنا . والإنسان ـ أيضا ـ لا يعرف متى يفارق الدنيا ، قد يكون فى أتم الصحة ويسقط ميتا فى لحظة ، وقد يكون الإنسان مريضا ويعيش سنوات طويلة .

ولكن لماذا كان الانسان هو المتغير ، بينما جميع ما خُلِقَ له قوانينه ثابتة لاتتغير ؟ والجواب على ذلك أن هذا الكون خُلق للإنسان ليعطيه مقومات حياته ، وأنه لم يخلق لجيل واحد يستقبله ثم ينتهى بإنتهائه ، بل هو مخلوق لأجيال من البشر

حتى يوم القيامة ، ولذلك هو يستقبل جيلا بعد جيل بنفس العطاء وبنفس القوانين .

إن الأرض منذ عهد آدم وحتى الآن إذا وضعت فيها الحب وسقيته بالماء واعتنيت به ، وخلصته من الآفات التى قد تصيبه أعطتك الثمر ، ومنذ عهد آدم إلى الآن لم ترفض الأرض أن تعطى كل جيل من ثمارها ، ولا هى قالت سأعطى الثمار لهذا الجيل وأمنعه عن الجيل الذى بعده .

والشمس منذ عهد آدم حتى الآن تشرق بمقاييس ثابتة وتغرب بمقاييس ثابتة . فلم نعرف أنها أعطت أشعتها لجيل وامتنعت أن تعطيها لجيل آخر ، وكذلك المطر والهواء وغير ذلك من مقومات الحياة .. انها تعطى كل الأجيال ، لم تتخلف عن ذلك قط .. يدل ذلك على قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾

(الآية ٥ سورة الرحمن)

(أى بحساب دقيق .. لا يختل ثانية ولايتغير)

إذن هناك فى الكون مخلوق ومخلوق له .. المخلوق الذى خلقت له الأشياء «وهو الانسان» نراه يتغير ويتبدل من حال إلى حال وهذا واقع نشاهده ، إنه يتغير وذاته باقية .. أى وهو على قيد الحياة إلى أحوال متعددة ، ثم بعد ذلك يتغير بفناء ذاته عند الموت .. وهذا التغير الذى يمر به الإنسان ـ سواء فى حياته أو بعد موته ـ ليس له حدود ولا مواقيت ، ولا مواقف ولا أسباب ، إنها قوانين غائبة عنا .



الإنسان .. وقوانين المتغيرات

إن الإنسان فى حياته يتغير كل يوم ، يخضع لقوانين لا نعلم عنها شيئا ، فهو فى حالة اليقظة له قانون ، وفى حالة النوم له قانون آخر لا نعرفه ، ولذلك عندما ينام الإنسان يرى أشياء لا تخضع للعقل .. يرى أنه يتكلم مع أشخاص انتقلوا إلى رحمة الله منذ فترة طويلة ، أو يسقط من فوق جبل فلا يصاب بسوء ، أو أنه يذهب إلى آخر الدنيا ويعود فى دقائق معدودة . وهو يرى وعيناه مغمضتان ، ويمشى وقدماه فوق السرير لاتتحركان ، ويتكلم ولسانه ثابت لايتحرك ، ويرى أنه يعذب أو ينعم .

إن كل هذا يحدث فى لحظة واحدة .. انتقال الإنسان من قانون اليقظة إلى قانون النوم ربما يحدث فى أقل من دقيقة . وهذا يجعلنا نعرف أن انتقال الإنسان من قانون إلى قانون مختلف تماما ، هو عملية سهلة على الله سبحانه وتعالى .. وإذا قرأنا القرآن الكريم .. نجد أن الحق تبارك وتعالى يقول :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الآية ٤٢ سورة الزمر)

فانتقال الإنسان من اليقظة إلى النوم .. يشبه انتقاله من الحياة الى الموت .. ورغم هذا التشابه .. فإن القوانين مختلفة . فالنائم ترد روحه إلى جسده عندما يستيقظ ، والذى يُتَوَفَّ لاترد روحه إلى جسده إلا يوم القيامة .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«والذى نفسى بيده إنكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون . ولتجزون بالأحسان إحسانا .. وبالسوء سوءا . وأنها لجنة أبدا أو لنار أبدا» .

والذى يموت يرى ساعة الاحتضار ما لايراه الانسان ساعة النوم .. فهو يرى الملائكة ويرى كل ماهو غيب عنه ، ويعرف مصيره إلى الجنة أو إلى النار .

هذا الانتقال من قانون إلى قانون ، يتم دون أن يعرف أحد من البشر الكيفية التى يتم بها . إن هذا تغير من حال إلى حال ، ثم عودة إلى الحال الأول .. كلها قوانين غائبة عنا رغم أنها تقع علينا وتؤثر فينا !

وإذا نظرنا إلى الكون كله . نجد أن الكون يدار بما يفيدنا ، ولكننا لانعرف كيف يدار ، فالمطر مثلا يشرب من مائه كل من فى الأرض ، وهو أساس الحياة .. مصداقا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

(من الآية ٣٠ سورة الأنبياء)

ولقد عاش الانسان فترة طويلة .. لا يعرف شيئا عن المطر

ولا يدرى كيف يتم البخر من البحار ، ثم يتكثف الماء فى طبقات الجو العليا ، ثم ينزل مطرا ، هل عدم علم الإنسان بكيفية نزول المطر منعه من الاستفادة منه فى الرى والشرب وغير ذلك ؟ لا . . وحتى يومنا هذا لا فرق بين الذى يعرف كيف ينزل المطر ، وبين الذى لا يعرف فى الانتفاع بالماء فى الكون ، قليل من أولئك يعلمون ، وكثير أولئك الذين لا يعلمون ، ولكننا جميعا نستفيد بمياه المطر ، وكذلك الشمس والهواء والأرض . علمت أسرارها وقوانينها أو لم تعلم . . فإنك تستفيد منها .

العلماء أجهدوا أنفسهم فى البحث عن أسرار الكون . . وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكشف لهم من أسرار الكون . . مايزيد علمهم بما أودع الله فى كونه من قوانين .

وهذه القوانين جعلت الحياة أكثر سهولة بالنسبة للإنسان قللت مما كان يبذله من جهد ، فبعد أن كان الإنسان يذهب إلى البئر ليشرب . أصبح الآن يجد الماء فى بيته ، وبمجرد إدارة مفتاح الصنبور تجد الماء أمامك . . هذه ارتقاءات فى الاستخدام ولكنها لم توجد الشىء المستخدم .



الجاذبية مثلا أدت عملها منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الكون ، ولم يعرفها الإنسان إلا متأخرا ، ولكنها كانت تؤدى دورها . . نقل الأثير للأصوات مثلا وغير ذلك ، كلها تخدم الإنسان دون أن يعرفها أو يعرف قوانينها .

ولكى نقرب هذه الصورة إلى الأذهان نقول أنك أذا جئت بإنسان أمى . . وقلت له إذا أردت ضوء الكهرباء لتضىء [illegible] المكان . . اضغط على هذا المفتاح ، وإذا أردت أن تشاهد برامج التليفزيون أدر هذا المفتاح . . هل حال جهل [illegible] الأمى دون انتفاعه بضوء الكهرباء أو مشاهدة التليفزيون ؟ يحل ، فهو كلما احتاج إلى ضوء ضغط على مفتاح الإضاءة وكلما أراد مشاهدة برامج التليفزيون أدار المفتاح .

إذن فعدم علمه بأسرار الكهرباء وقوانينها ، أو أسرار نقل برامج التليفزيون وكيف يتم نقلها لم يمنعه من أن يستفيد منه وأن يستخدمها .

وكذلك كان الكون وسيظل ، وكلما بحث العقل البشرى ، وكشف الله له من آياته فى الكون . . ارتقى البشر فى الانتفاع والنفع .

إن الأشياء التى كانت تتطلب مجهودا شاقا وزمنا كبيرا . . تتم الآن بمجهود قليل وفى زمن أقل ، والذى كان يحمل أردبا

من الحبوب على ظهره ويعانى الكثير من نقله من مكان الى آخر . تلاشت هذه المعاناة باكتشاف العجلة ، ثم مالبثت أن تطورت حتى كانت هناك مركبات تجر باليد . ثم ارتقى العلم إلى ما نحن فيه من اختراعات حديثة . . اختصرت الزمن . . وقللت من المشقة ، وأراحت الانسان .

ولكن هل هذه الاختراعات ، وهذا التقدم العلمى استطاع أن يوجد مادة لم تكن موجودة فى الأرض ؟ . بالطبع لا . . فالله سبحانه وتعالى هو الموجد لكل ما فى الكون . . منذ بداية الخلق حتى يوم القيامة . . وكلما ارتقى البشر فى حضاراتهم عرفوا من آيات الله فى الكون ما يعطيهم حياة أكثر ترفا . والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

(من الآية ٢٩ سورة البقرة)

قدرة الخالق فى إعجاز الخلق نراها كل يوم . . ومهما تقدم الإنسان فى العلم وتطور عقله، أعطاه الله وكشف له من الأسرار ما كان غيبا عنه ، فإنه لايخلق شيئا جديداً ولا يصنع شيئا إلا من موجود ، ومع أن هناك أشياء يعتقد بعض الناس أن الإنسان قام بالإسهام فيها . مثل الزرع مثلا وتحسين النوع ، والاكتشافات الجديدة التى دخلت فى خدمة الانسان . . كقدرته على الطيران . . أو اطلاق الأقمار الصناعية . . أو النزول على سطح القمر . . إن هذه الأشياء كلها لم تحدث إبتداء ، وإنما تمت من موجود كان خافيا حتى لحظة اكتشافه !

فالانسان لكى يكتشف الصاروخ . . درس قوانين الغلاف الجوى ، ودرس قوانين الطاقة الموجودة التى يحتاجها الصاروخ .

ولكن هل كانت هذه القوانين غير موجودة فى الكون عندما خلقه الله ؟ . . طبعا كانت موجودة ، وهى من خلق الله من أول ما قال سبحانه وتعالى للكون : «كن» .

إن أحدا لايستطيع أن يدعى - مهما بلغ علمه - أنه قد صنع غلافا جويا جديدا للأرض ، أو أنه قد بدل أو غير فى تكوين الغلاف الجوى حتى يستطيع أن يحمل صاروخا إلى الفضاء . أو أنه قد فتح بابا للغلاف الجوى حول الأرض ، حتى يمكن للانسان أن يخرج منه ويصل إلى القمر . .

لا أحد يستطيع أن يدعى أنه فعل ذلك ، فالله تبارك وتعالى . . هو الذى خلقه وأوجده على هذه الصورة ، ثم كشفه للإنسان وعرَّفه استخداماته .

إذن كلما ارتقى البشر فى حياتهم . . زاد علمهم بآيات الله فى كونه . . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(من الآية ٢٨ سورة فاطر)

لماذا لابد أن يكون العلماء أكثر خشية لله ؟ . . لأنهم هم الذين عرفوا بعض آيات الله فى كونه ، تلك الآيات التى تشهد بعظمة الخالق ، ودقة صنعه ، وبدل أن يسجدوا خضوعا لعظمة الله ، أخذوا يتحدثون عما اكتشفوه من أسرار الكون وكأنهم هم الذين أوجدوه !

والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم آياته :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(الآية ٥٣ سورة فصلت)

وكلما مر الزمن . نقرأ الآية الكريمة : «سنريهم» . . كأن آيات الله تبارك وتعالى فى كونه وفى خلقه حتى نهاية العالم .

إننا لابد أن نتوقف قليلا ، لنرى كيف أن منهج الله موضوع بدقة فائقة ليقود الإنسان إلى الإيمان . فكل ما فى هذا الكون وضع بحكمة لخدمة الايمان ، ولخدمة منهج الله .

إن الله تبارك وتعالى اختار منهج الحياة لخلقه ومعه الدليل الإيمانى ، والله سبحانه وتعالى ـ هو غيب عنا لانراه ـ قد يأتى إنسان ويقول : أنا لا أصدق إلا ما أراه !! نقول له لا تتسرع ، لأن الوجود شىء ، وإدراك الوجود شىء آخر تماما .

ولنأخذ الجراثيم التى تفتك بالبشرية وتأتينا بالأمراض مثلا . . ألم تكن هذه الجراثيم موجودة عند بداية الخلق ؟ نعم كانت موجودة ولكن لدقة حجمها لم نكن نراها ، بل أكثر من ذلك ، إنها كانت تؤدى مهمتها فى الكون ، ولها مهام كثيرة دون أن نعرف عنها شيئا ، ثم تقدم العلم واخترعت المناظير المكبرة التى تكبر الشىء مئات المرات أو الوف المرات . .

فاكتشفنا هذه الجراثيم ، وإذا بها مخلوقات غاية فى الدقة لها قوانينها الخاصة بها ، ولها دورة حياتها وتتناسل وتتكاثر ، وتستطيع أن تخرق جلودنا ونحن لانحس بها ، وأن تدخل إلى الأوعية الدموية ونحن لانحس بها أيضا ، وأن تقضى فترة حضانة داخل الدم .. تتكاثر فيها وتحدث معارك بينها وبين كرات الدم البيضاء .. إلى آخر ما نعرفه الآن بعد اكتشافنا لها ومعرفتنا إياها .

والسؤال هنا : هل خلقت هذه الجراثيم ساعة رأيناها ؟ .. طبعا لا .. إنما كانت موجودة منذ بداية الخلق ، ولكننا لم نكن نعرف أو ندرك وجودها .. وكذلك كل شيء فى الكون . فالغلاف الجوى أو الأثير .. الذى يحمل لنا الآن الصوت والصورة ويطوف بهما فى كل أنحاء الأرض فى ثوان معدودة ، بحيث تستطيع وأنت فى بيتك أن ترى نزول الانسان على القمر فى نفس اللحظة التى ينزل فيها ، أو ترى حدثا هاما ساعة وقوعه وأنت جالس فى حجرتك والحدث على بعد ألوف الأميال منك .

والسؤال : هل أضاف الإنسان .. إلى الغلاف الجوى خاصية نقل الصوت والصورة حول العالم فى ثوان .. الجواب طبعا لا .. فالغلاف الجوى كما خلقه الله سبحانه وتعالى موجود بكل خصائصه ، ولكننا لم نكتشف هذه الخاصية .. إلا فى الفترة الأخيرة ، كما أننا لم نكتشف أن الهواء يمكن أن يحمل الطائرات بكل ما فيها من أجسام ثقيلة .

إذن كل الخصائص كانت موجودة فى الكون عندما خلقه الله تبارك وتعالى . ولكننا لم نكتشفها إلا عندما أذن الله بها ،

فظهرت لنا وعرفناها واستخدمناها ، وذلك حتى يخدم كل ما فى الكون قضية الإيمان . .

فإذا جاءك إنسان وقال لك : إن الله سبحانه وتعالى غيب فكيف نؤمن به ؟ . .

نقول له إن الله جل جلاله قد أعطانا من الأدلة فى الكون ما يجعلنا نعرف يقينا أن ما هو غيب عنا موجود ، وإن لم نكن نعرف وجوده ، والموقف هذا لابد أن يخدم العلم قضية الايمان ويقربه لنا . . فكلما كشف الله لنا شيئا . . قلنا سبحان الله الذى خلق فأبدع فَصَوَّر . .

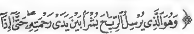
ولكن بدلا من أن نتخذ العلم قضية تقربنا من الإيمان أكثر . .اعتقدنا أننا وصلنا إلى هذه الأشياء بذاتيتنا ، وأننا نحن الذين أوجدناها فى الكون ، وأنها من صنعنا ، ونسبناها إلى بشريتنا بدلا من أن ننسبها إلى خالقها العظيم . . وأصبح الناس يستخدمون العلم فى محاربة الإيمان . . بينما العلم فى حقيقته مُثَبِّتٌ للايمان .



هذه هى المأساة التى يعيشها العالم الآن . . إننا نرى أن كل ثابت فى الكون يخدم الانسان جيلا بعد جيل بدون تدخل أى ارادة بشرية . . وبدون أن ندرى عن قوانينه شيئا .

لكن انقلبت الآية وأصبحنا ندعى أننا نخضع الأرض بذواتنا وأننا نجعلها تنبت لنا الزرع بقدراتنا ، بل تجاوزنا هذا المعنى لنطعن فى المغيبات الخمسة التى أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها ، وأنها انكشفت للإنسان ، أصبح هناك من يقف امام كاميرات التليفزيون ويقول إن الإنسان هو الذى ينزل الغيث أو المطر ، مع أن نزول الأمطار يتم بلا عمل منا ، فلا يوجد إنسان يستطيع أن يدعى أنه هو الذى يسلط أشعة الشمس على البحار ، حتى يصعد بخار الماء الى طبقات الجو العليا ، ولا أحد يستطيع أن يقول أنه هو الذى يكثف هذا الماء ليصبح سحابا ، ولايستطيع أحد أن يدعى أنه يصدر الأوامر إلى الريح لتدفع هذا السحاب إلى المكان الذى قدر الله فيه نزول المطر ، ولا أحد يمكن أن يقول إنه يجعل هذا السحاب يصطدم بقمم الجبال الباردة فيمطر .

كل هذه العملية . . تتم دون أن ندرى عنها شيئا . . وأقرأ قول الحق تبارك وتعالى :



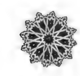
أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ
نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الآية ٥٧ سورة الأعراف)

الله سبحانه وتعالى بقدرته .. هو الـذى ينشىء السحاب .. وهو الذى يسوقه الى حيث يشاء . ويقول جل جلاله :

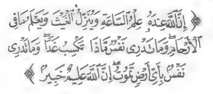
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ
بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا
بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾

(الآية ٤٣ سورة النور)



المغيبات .. والغرور الانسانى

الحق سبحانه وتعالى يذكر لنا فى القرآن الكريم الحقائق الثابتة بالنسبة للمطر . ولأن العلم قد اكتشف أنه بالقاء مادة كيمياوية على السحاب تمطر ، يأتى مدع مغرور ليقول إنه استطاع أن ينزل المطر ، وأن إحدى المغيبات الخمس التى انفرد الله بعلمها قد انكشفت له ، والتى جاءت فى قول الله تبارك وتعالى :



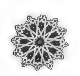
(الآية ٣٤ سورة لقمان)

إننا نقول لهذا الانسان أين أنت من نزول الغيث ؟ . . إنها عملية ضخمة هائلة . . تبدأ من البخر من البحار إلى أن ينزل المطر . . ولا يستطيع العالم كله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أن ينزل قطرة ماء . . ولو كان الانسان قادرا على أن ينزل المطر لجعل المطر يروى الصحارى . . حتى ليتمكن من زراعتها . . أو كان من الممكن إذا نزل مطر غزير على أحد الأماكن ، أن يأخذ السحاب ويجعلها تمطر فى مكان آخر . . لينجى أهل هذا المكان من الفيضانات والغرق ، والله سبحانه وتعالى ينزل من

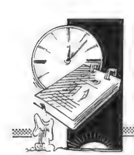
السماء المطر . . يشرب منه الناس جميعا . . هم وأنعامهم وكل شيء حي ، والله خلق الأنهار التي تمتد ألوف الكيلو مترات . . فهل يستطيع العلم أن ينشيء لنا ترعة صغيرة في وسط الصحراء ؟

إنها لما يحزن أن الناس بدل أن يستخدموا العلم استخدامه الصحيح لخدمة الايمان . . إنطلقوا يستخدمونه لخدمة الكفر والإلحاد ، وبدلا من أن ينسبوا ما في الكون إلى قدرة الله سبحانه وتعالى . . نسبوه إلى أنفسهم وقدراتهم .

وخلاصة القول أن الكون كله مخلوق لله لخدمة الإنسان وأنه ثابت لا يتغير . أما الانسان فإنه يتغير من حال إلى حال . . بقوانين غائبة عنا لا نعرفها ، وأن الله سبحانه وتعالى . . قد جعل آيات الكون كلها تخدم قضية الايمان ولكن الانسان جعلها تخدم قضية الكفر والألحاد .



الفصل الثانى



البداية والنهاية

الله سبحانه وتعالى هو وحده واجب الوجود ، ووجوده بلا بداية ولا نهاية ، وكل خلق من خلقه له بداية وله نهاية . الكون كله بما فيه ومن فيه له بداية وله نهاية ، وعندما تقوم القيامة . . يتم تدمير كل شيء فى هذا الكون . . بشمسه وقمره ونجومه وأرضه وجباله وبحاره . يقول جل جلاله فى القرآن الكريم عن هذه الحقيقة :



(الآية ٤٨ من سورة ابراهيم)

وهكذا يخبرنا الله جل جلاله فى القرآن الكريم أن هذه الارض التى نعيش عليها بالأسباب ، مطمور فيها أقواتها حتى يوم القيامة . . فإذا جاء يوم الحشر . . تدمر هذه الأرض وتأتى أرض جديدة . . هى أرض الميعاد التى يحشر عليها الناس ويحاسبون . . وسوف نخرج من قبورنا فى هذه الأرض ونساق الى أرض الميعاد . . وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فى الفصل القادم . .

اننا ـ نحن المؤمنين ـ نعرف يقينا أن هناك نهاية لهذه الحياة الدنيا . . لكن يوجد من يحاول أن يشكك فى هذ الناحية مدعيا أنه ليس بعد الموت شيء ! وكل من يقول ذلك من الذين يعتنقون الوجودية والشيوعية وغير ذلك من مذاهب الالحاد ، لم يخرجوا عن فكر الكفار فى كل عصر . . فالفكر الملحد يكرر

نفسه ولا يرتقى أبدا ، لأنه مبنى على أسس من الباطل . . والباطل يكرر ادعاءاته بأشكال مختلفة . ولكن ليس فيه مضمون جديد . . واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة الجاثية)

إنك إن بحثت فى كل دعوة كافرة فى هذا الكون ـ مع اختلاف النظريات والفلسفات وغير ذلك ـ تجد القائمين عليها ينكرون البعث ويسترون وجود الله سبحانه وتعالى الذى خلقهم ويميتهم ثم يحييهم . . وأقصى أمانى الكافر ألا يكون هناك يوم للحساب ، لأنه بطبيعته يطلق لنزاوته وشهواته أن تفعل ما تشاء . . يسرق ويقتل ويكذب ويعتدى على أعراض الآخرين ويشهد الزور ، ثم بعد ذلك لا شيء !! هذه هى أقصى أمانى كل كافر ، ولكنها أمانٍ كاذبة ، لأن هؤلاء جميعا سيفاجأون يوم القيامة بالله سبحانه وتعالى يحاسبهم على كل ما اقترفوه من آثام . . وما اعتنقوه من باطل واقرأ قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

(الآية ٣٩ سورة النور)

هذه هى الحقيقة التى ينكرها كل كافر ، ولكنها ستفاجئه ، وحينئذ لا تنفعه ثروات الدنيا كلها .

وقبل أن نتحدث عن النهاية ، لابد أن نستعرض البداية بشكل مجمل لنرى كيف أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الانسان من الأدلة ما يجعله يؤمن ، بل إنه جل جلاله ساوى بين البشر جميعا ، بحيث يفهم كل انسان هذه الأدلة ، ولا يتوقف فهمها ـ فقط ـ على الذين أوتوا حظاً من العلم .

الله سبحانه وتعالى خلق آدم من عناصر الأرض . والتحليل العلمى الذى تم أخيرا أثبت أن جسد الانسان يحتوى على ١٨ عنصرا هى نفس العناصر الموجودة فى الأرض . وهكذا نرى أن العلم توصل إلى ما كشف عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

الله سبحانه وتعالى بعد أن سوى آدم بيديه ، نفخ فيه من روحه فدبت الحياة فى الجسد ، ثم خلق حواء من آدم أو من ضلع منه ، وهكذا فإن الإنسان من روح وجسد . . الجسد المادى تركه الله تبارك وتعالى ليكتشف الإنسان قوانينه على مدى العصور وعلى قدر ما يؤتى من العلم ، ولكن الروح جعلها الله سراً مغلقاً على الإنسان لا يستطيع أن يصل اليه . وكل الأبحاث التى تجرى عن الروح هى عبث ، لأنها سر لن يصل البشر اليه ، والروح لا تدخل فى طاقة البحث العلمى . . إنك لا يمكن أن تأخذ الروح إلى المعمل وتجرى عليها تجارب لتعرف قوانينها . .

لقد حاول الإنسان وما زال يحاول ليعرف عنها شيئا . فقد قام عالم سويسرى بتجربة وضع فيها الإنسان وهو يحتضر على سرير ملحق به ميزان غاية فى الدقة ، ووجد أنه فى لحظة الموت وعندما تخرج الروح من الجسد . . يفقد الإنسان جزءا يسيرا من وزنه ، بعد هذه التجارب قال هذا العالم : إن الروح لها وزن دقيق جدا . . لا يتجاوز جزءا من المائة من الجرام . . لقد أدعى هذا العالم السويسرى أن هناك وزنا بسيطا جدا للروح محاولا بذلك أن يثبت أن الروح جرم مادى له وزن غاية فى الدقة .

هناك من العلماء من أنكر وجود الروح وقال هى الزمن أو الطبيعة ، وبعضهم التجأ الى فلسفات أخرى وقال إنها هى التى تعطى الجسم الحياة . . والله سبحانه وتعالى يقول عنها فى كتابه المحكم :



(الآية ٨٥ من سورة الاسراء)

ويجب أن ندرك أن هناك الروح ، وهناك الجسد ، وهناك النفس ، والنفس هى التقاء الروح بالمادة ، أو امتزاج الروح والجسد . والتكليف من الله تبارك وتعالى لا يأتى للروح وحدها ، ولا يأتى لجسد خرجت منه الروح ، وإنما يأتى عندما يمتزج الروح والجسد . . وذلك مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ

﴿ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ .

(الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ سورة الشمس)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس ، وهى فترة التقاء الروح بالمادة ، والعذاب فى الآخرة والنعيم للنفس أيضا ، ولذلك يعيد الله تبارك وتعالى الخلق ، فيعيد الأجساد وتدخل فيها الأرواح لتكون معدة للحساب . ولذلك نجد آيات القرآن الكريم التى تحدثنا عن الآخرة لا تذكر فيها الروح وحدها ولا الجسد وحده ، بل تذكر النفس . . فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(من الآية ١٦١ آل عمران)

وقوله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾

(الآية ٢١ سورة ق)

ويقول جل جلاله :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾

(الآية ٤٨ سورة البقرة)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس ، والعذاب للنفس . . والنعيم للنفس . . باعتبار أنها امتزاج الروح بالجسد أو التقاء المادة بالروح .



ما هى الروح ؟

وإذا أردنا أن نعرف الروح ، فإننا نقول إنها ذلك السر الألهى الذى يهب الحياة للمادة ، أو هى إرادة الله سبحانه وتعالى لنا أن نحيا ، فإذا سلب الله هذ الارادة . . انتهت الحياة بشكلها الدنيوى . والموت ليس نهاية لرحلة الحياة ، بل هو نهاية لحلقة من هذ الرحلة . . وبداية لحلقة جديدة . . لها قوانينها وحياتها التى يعلمها الله .

لقد بينا أن الإنسان يمكن أن ينتقل من قانون إلى قانون فى لحظة واحدة ، فعندما يضع الانسان رأسه على الوسادة وجسده على السرير ، فإنه لحظة أن ينام ينتقل من قانون إلى قانون ، وهذا ما وضحناه . . فإذا استيقظ من النوم ففى نفس اللحظة ينتقل من قانون النوم الى قانون اليقظة ، وكلاهما مختلف عن الآخر تماما .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لنا أن الحياة الدنيا فترة قصيرة من رحلة الحياة الكبرى ، وشبهها بالمسافر الذى يقضى بعضا من الوقت فى ظل شجرة ثم يرحل ، ليعطينا صورة دقيقة على قصر زمن الحياة الدنيا بالنسبة لرحلة الحياة الكبرى . قال صلى الله عليه وسلم :

(مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) .

لقد تحير الإنسان فى أمر الروح ، حتى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وكيف تهب الحياة للجسد ؟ . . وكانوا يعتقدون أن الرسول عليه الصلاة والسلام سيأتى لهم بأشياء من عنده يطعنون بها فى صدق رسالته صلى الله عليه وسلم . . ونزل قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الآية ٨٥ سورة الإسراء)

أى أن الروح ستظل سرا من أسرار الله سبحانه وتعالى . . وغيبا عنا الى يوم القيامة . .

ولكن الروح ـ التى هى غيب عنا ـ جعلها الله سبحانه وتعالى دليلا إلى الإيمان ، وقوة تلفتنا إلى قدرة الله تبارك وتعالى ، وتعلمنا كيف نمضى فى طريق الإيمان ونحن واثقون من وجود الله واجد الوجود . . وواثقون من خلقه للكون ولنا .

والروح وإن كانت تعيش فى جسد الانسان . . فإن صاحب هذا الجسد لا يعرف عنها شيئا . . لا يعرف كيف دخلت ، ولا كيف تخرج ؟ . . وأين مكانها فى الجسد البشرى ؟ .

أهى فى العقل الذى يعطى الاشارات لكل الجسم ليتحرك ؟ . . أم هى فى القلب الذى ينبض والانسان جنين فى بطن امه ؟ . . ويظل ينبض دون إرادة منا حتى تنتهى الحياة . . أم هى فى اليد التى تبطش ؟ . . أم القدم التى تمشى ؟ . . أم العين التى تبصر ؟ . . أم الأذن التى تسمع . . أم اللسان الذى يتكلم ؟ . . أين هى ؟ . .



لقد عجز عن ادراك الروح وكنهها كل علماء الأرض الذين يجادلون فى الله بغير علم ، ويأخذون الرؤية المادية على اساس أنها يقين العلم كله ، أولئك الذين يحاولون ستر وجود الله ويعلنون الكفر والالحاد . . والروح فى أجسادهم وهى معهم فى رحلتهم الدنيوية .

اننا لو توجهنا اليهم بسؤال محددهو : هل الروح موجودة أو غير موجودة ؟ . . سيكون جوابهم بالقطع هو أن الروح موجودة لسبب بدهى هو أنها هى التى تعطى الحياة للجسد . ونقول لهم : اذا كانت الروح ـ وهى مخلوق لله سبحانه وتعالى ـ موجودة وجودا يقينيا فى أجسادكم لا يستطيع أن ينكره أحد منكم ، وموجودة وجودا يقينيا فى كل شىء حى ، ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون رؤيتها أو معرفة تكوينها . . فى الوقت الذى ترون آثارها على أجسادكم . .

اذا عجزتم عن هذا بالنسبة للروح ؟ . . فكيف تريدون رؤية الله سبحانه وتعالى . . لماذا تجاهرون بأن عدم رؤيته جل جلاله . . دليل على عدم الوجود !! . . ألا تكفى هذه التجربة التى فى أجسادكم ، والتى تعيش معكم رحلة العمر لتؤكد لكم انكم تفترون على الله الكذب بهذا الادعاء ولو كنتم تعقلون لسجدتم لقدرة الله تبارك وتعالى الذى وضع فيكم هذا الاعجاز ليلفتكم إلى قدرة الله وعظيم علمه .

ولكن لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية ، ولم يعط لبشر ولو علما يسيرا عن الروح ؟ . . نقول إن لهذا علة أسباب :

أولا لندرك عظمة قدرة الله . . ولنرى يقينا هذه القدرة التى تضع فى الجسد البشرى ما يعطيه الحياة ، دون أن يستطيع أحد أن يعرف شيئا عما يهب الحياة إلى جسده . . وعندما نرى هذه القدرة نحس بعظم الخالق سبحانه وتعالى الذى وضع هذا السر فينا . . دون أن نستطيع اكتشافه . .

وثانيا أنه دليل وجود بلا رؤية ، دليل وجود لما هو غيب عنا . . فنحن نعرف يقينا أن الأرواح فى أجسادنا بالحياة التى تهبها هذه الأرواح للأجساد ، فاذا خرجت توقفت الحياة . . وبذلك نعلم يقينا أن الغيب موجود ، وأن عدم ادراكنا له ليس دليلا على أنه غير موجود . . أنه محجوب عنا ، نحن لا نراه ولكننا نستدل عليه بآثاره ، ونستدل عليه دليلا يقينيا ، وخير شاهد على هذا هى الروح التى تسكن الجسد . . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾

(الآية ٢١ سورة الذاريات)

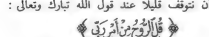
إن نظرة الإنسان لنفسه وحدها تحمل الدليل الايمانى على أن ما هو غيب عنا موجود نستدل عليه بآثاره . ألا يكفى هذا الكون بكل ما فيه من اعجاز الخلق ، ومن قوى أكبر من قدرات البشر جميعا أن تدلنا يقينا على وجود الله سبحانه وتعالى ؟! .

النقطة الثالثة هى ان كل ما فى الكون من حقائق علمية وقوانين كونية كانت تباشر مهمتها قبل أن يكشفها الله لنا ، واكتشافنا لها أخيرا ليس معناه أننا أوجدناها ، لكن معناه أن الله تبارك وتعالى أراد أن يعلمنا بها ، ولكنها كانت تؤدى مهمتها قبل أن نعلم عنها شيئا . اذا كان هذا دليلا كافيا للايمان .. فلماذا غيّب الله عنا الروح ؟.

نقول : إن الاكتشافات العلمية محتاجة لأن يدرس الناس ويتعلموا حتى يصلوا اليها ، ولكن ذلك الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يستطيع أن يستوعب من العلم شيئا هل نتركه بلا دليل ؟..

الله سبحانه وتعالى يساوى بين عباده جميعا ، ووجود الروح فى الجسد شىء لا يحتاج الى علم ، بل كل الناس تعرفه لأنه يعيش معه ويعيش معها ، فإذا دخل الشك لأى نفس بشرية فيكفى أن نضرب مثل الروح ليفهمه الجاهل والمتعلم .. الذى قرأ وتعلم ، والذى لم يقرأ حرفا واحدا فى حياته .. وحقيقة الروح ـ علمنا بها أو لم نعلم ـ لا تزيد من انتفاعنا بها أو تقلل منه ، فالانتفاع بالروح لا يقتضى العلم .. فهى تعطيك الحياة والقدرة وإن كنت لا تعلم عنها شيئا .

ويجب أن نتوقف قليلا عند قول الله تبارك وتعالى :



(من الآية ٨٥ سورة الإسراء)

ماذا تعنى كلمتى : « أمر ربى » .. أو كيف يتم امضاء هذا

الامر . . يحدد الله ذلك فى قوله جل جلاله :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٨٢ سورة يس)

إذن فأمر الله هو ارادته سبحانه وتعالى . . فى أن ينتقل الشيء من علمه اللَّدُنِّى إلى حياة البشر بكلمة « كن » . . لذلك لابد أن نتنبه الى قوله تعالى : (يقول له) . . وما دام الله تبارك وتعالى يقول له . . فإن الشيء موجود فى علمه الذى وسع كل شيء ، فكل ما فى هذا الكون من أحداث منذ بداية الخلق ، وقبل بداية الخلق الى يوم القيامة ، وبعد يوم القيامة موجود .

هناك ميلاد لكل شيء . . فى علم الله تبارك وتعالى ولذلك عندما سئل أحد العارفين عما يجرى من أحداث على الحياة والناس قال . . هى أمور يبديها ولا يبتديها ، ولذلك فإن الحياة الدنيا بكل أحداثها موجودة فى علم الله ، والحساب يوم القيامة والجنة والنار ، كلها موجودة فى علم الله ، بحيث لو اراد الله تبارك وتعالى أن يكشفها لمن شاء من خلقه ، فإنه يكشفها . . وإقرأ قوله جل جلاله :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

(الآية ٢ سورة الحديد)

إن أحداث الدنيا وما يقع من أحداث فى الآخرة هى كلها

فى علم الله سبحانه وتعالى ، وتخرج من علمه سبحانه . . إلى علم الانسان بكلمة « كن » . . ولكن الانسان كما وصفه الله سبحانه وتعالى ظلوم وجهول . . ظلوم لأنه مغرور يعتقد انه هو الذى حقق بنفسه وبذاته هذه الحضارات التى نعيشها . . وان كان فى الحقيقة لم يحقق شيئا الا باستخدام العقل المخلوق له من الله فى توجيه الطاقة المخلوقة له من الله . . فى المادة المخلوقة من الله ، ليكشف الله له ما شاء من قوانين الكون فيستخدمها فى ارتقاء حياته . . وارتقاء الحياة كما قلنا . . أن يحدث الشىء فى وقت أقل وبجهد أقل .

فى الماضى كنا نصعد السلم إلى الأدوار العليا ، وكانت هذه عملية شاقة ، فأصبح المصعد الآن يأخذنا إلى الدور الأخير فى وقت أقل وبجهد أقل .

كنا فى الماضى إذا أردنا الذهاب الى مكان . . نمشى اليه ، الآن أصبحنا ننتقل بالسيارة والطائرة وغيرهما من وسائل النقل الحديث بجهد أقل وفى زمن أقل .

ولكن الانسان عندما رأى هذا التقدم العلمى عبد الدنيا . . وهو جهول فى ذلك قد بلغ المدى فى الجهل . . وهذا لسببين :

الأول أنه يمضى فى هذه الدنيا فترة ثم يفارقها ، والخالق لا يغادر مخلوقه .

والجهل الثانى أنه يفعل الشى فى الخفاء ويكون حريصا على أن يخفيه عن عيون الناس فلا يراه أحد ، ويحسب أنه قد فعل

شيئا لايكشفه أحد . . ولكنه ينسى أن الله تبارك وتعالى يراه فى كل ثانية ولا يخفى عليه شىء حتى ما فى الصدور ولذلك ورد فى الأثر عن الله جل جلاله :

« ياعبادى إن كنتم تظنون أنى لا أراكم فالخللُ فى إيمانكم ، وإن كنتم تعرفون أنى أراكم فَلِمَ جعلتمونى أَهْوَنَ الناظرين اليكم » .

هذه هى الحقيقة التى يعرفها الجميع وينسونها أو يتناسونها لتحقيق شهوة النفس والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ .

(الآية ٢ سورة الملك)

وحين يتحدث الحق تبارك وتعالى عن حكمة الخلق ، وان الحياة مجال اختبار لنا لنحسن الطاعة ونحسن العبادة ونحسن الالتزام بمنهج الله . . ذكر الموت أولا قبل الحياة ، وذلك حتى يقتل غرور الدنيا فى أنفسنا ، فكلما اغتر الإنسان ونسب ما فى الكون لذاته ، ذكره الله سبحانه وتعالى بالموت ، ليعرف أن كل ما هو فيه من نعيم أو ملك له نهاية ، وأنه لا شىء يدوم ، وحين يتذكر الإنسان ذلك لا تغره الدنيا التى هو مفارقها يقينا ، ولكن الغرور البشرى يصور للناس أنهم سيعيشون سنوات وسنوات . . حتى ذلك الذى بلغ من العمر أرذله . . يعتقد أن الوقت ما زال أمامه طويل !! .

لا تغتر .. فالموت يأتى بغتة

لقد جعل الله سبحانه و تعالى الموت بلا أسباب ، إنه يمكن أن يفاجئنا فى أى لحظة ، فليس معنى ان الإنسان يتمع بصحة جيدة أنه سيعيش طويلا ، وليس معنى أن الانسان صغير فى السن أن امامه عمراً طويلاً . فالموت يأتى للصغير وللكبير وللصحيح وللمريض . وقد يموت إنسان ممتلىء صحة أو فى سن صغيرة ، ويعيش إنسان مريض حتى يبلغ مبلغ الكهولة .

ولأن الله سبحانه وتعالى يحبنا ، فهو لا يريدنا أن نغتر بالحياة ، وأن نوقن باستدامتها ، بل علينا ان نتوقع النهاية فى أى وقت ، وذلك حتى نسارع فى الخيرات ونمتنع عن المعاصى ، لأننى لو علمت أننى سأموت فى سن الخمسين أو الستين مثلا . . فإننى قد ارتكب المعاصى وأظلم الناس وآخذ المال الحرام ، حتى إذا وصلت الى ما قبل موعد الموت بعام أو عامين . . فإننى أتوب الى الله وأفعل الخير !! .

إن مثل هذا لو حدث فى الواقع لامتلأ الكون بالمعاصى وقل منه الخير ، ولكن اذا علمت أن الحياة تتوقف فى أية لحظة ، فإننى أسارع الى الخير ، ولذلك يصف الله عباده الصالحين الذين لهم منزلة عالية عنده وعلى رأسهم الأنبياء . . بقوله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾

(من الآية ٩٠ سورة الأنبياء)

والمسارعة فى الخير مطلوبة .. لأن الانسان لا يضمن غده ، وهذه احدى حكم اخفاء موعد الموت .. كى نسارع بالعودة الى منهج الله قبل أن يدهمنا الموت فى أى لحظة من ساعات الليل أو النهار .

واذا اردنا ان نجمل ما فصلنا فى هذا الباب فإننا نقول : ان هذا الكون كله مخلوق للانسان ، مسخر له بقدرة الله وليس بذاته ، وأن العلم الذى يكشفه الله لنا هو من قوانينه فى الأرض التى تعمل منذ بداية الخلق .. ولكنها كانت غيبا عنا ، وأن الانسان لا يملك فى هذا الكون حتى نفسه ، فالروح التى تدخل الجسد لتعطيه الحياة واذا خرجت يموت هى من أمر الله ، لم يطلع أحداً منا على سرها .. واذا كان الانسان لا يملك حياته فى هذا الكون .. فكيف يملك الكون نفسه ؟ .

إن الدنيا كلما اقتربت من نهايتها ، يشعر الانسان أنه قادر عليها .. فيستخدم ما كشف الله له من علم فى محاربة الايمان !! بدلا من أن يستخدمه فى الاعتراف بعظمة الله وقدرته .

ولكن كيف يستقبل المؤمن ذلك العلم الذى يتقدم كل عام ؟ ..

وما هو المنطق الايمانى الذى يتلقاه به ؟ ..

وكيف أن الانسان فى نهاية الكون سيعتقد انه قادر على كون الله ؟! .

هذا ما نفصله ان شاء الله فى الفصل التالى ..

الفصل الثالث



الاستقبال الإيمانى للحياة

الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نستقبل
الحياة استقبالا إيمانيا . . بحيث يُذَكِّرنا كل
تقدم يحدث فى الكون بقدرة الله وعظمته
فنزداد يقينا . . ولكننا فى الحقيقة نفعل
عكس ذلك . فكلما تقدم الزمن وثقنا فى
قدرة الإنسان ، وبعدنا عن منهج الله .

ورغم أن الله تبارك وتعالى قد بين لنا أن كل أحداث هذا الكون موجودة فى علمه قبل الخلق ، فإن هناك من يَدَّعُون أن الإنسان الذكى يستطيع أن يصنع قَدَرَهُ بنفسه ، وأنه كلما تقدم العلم ليعطينا شيئا جديدا من قوانين الكون . . نحسب أننا نحن الذين وضعنا هذه القوانين ، وأنها تعمل بأمر منا وليس بقدرة من سخرها لنا ، وأننا قادرون على أن نجعل الأحداث تفعل ما نشاء وتحقق لنا ما نريد بعلمنا ، ولكن الانسان أعجز من أن يفعل شيئا فى الكون ، ذلك أن الكون لا يخرج عن مراد الله الفعلى . . ولا شىء فى كون الله يخرج عن أمره .

قد يقول بعض الناس . . وهل الذين كفروا ولم يؤمنوا بالله أرادهم الله تبارك وتعالى كفارا ؟ . .

نقول لهؤلاء : إن الكفار خالفوا مراد الله (الشرعى) فى كونه ، ولكنهم لا يستطيعون أن يخالفوا أمر الله (الفعلى) فى كونه . إن فى مقدورهم أن يخالفوا مراد الله الشرعى فى الأمر والنهى ، وذلك لأن الله خلقهم مختارين فى أن يطيعوا أو أن يعصوا ، ولولا أنه سبحانه وتعالى أعطاهم حرية هذا الاختيار ، ما كان واحد منهم يستطيع المعصية ، فكل ما فى الكون مخلوق على القهر . . الا الإنس والجان فلهم حرية

الاختيار فى المنهج فى افعل أو لا تفعل .

اننا نقول لهؤلاء الناس الذين يدعون أن لهم اختيارا فى كون الله ، واختيارا بلا حدود ، والقول موجه لكل واحد منهم:إذا كنت قد تأبيت على طاعة الله فى منهجه ورفضتها ، فلا تحسب أن لك اختيارا كاملا فى الكون ، بل أنت خاضع لأقدار الله . . والإ فقل لى هل فى استطاعتك أن تدفع عن نفسك المرض وتختار الصحة ؟ بالقطع لن تستطيع ، وإذا جاءك الموت فتمرد على قدر الله وقل لن أموت ، ولكنك لا تستطيع ، وإذا اصابتك مصيبة فى أهلك أو أولادك فامنعها . ولكنك لا تستطيع ، وإذا توقف قلبك فأعد اليه النبض مرة أخرى . . ولكنك لا تستطيع . . ذلك أنك مقهور فى أشياء ، مختار فى أشياء اخرى . . والاختيار جاءك بمشيئة الله ، فلا يغرك هذا الاختيار لتحسب نفسك أصيلا فى الكون !

لقد صنع الانسان ـ بعد أن كشف الله له بعض اسرار كونه ـ ما يطير به فى الجو ، وما يغوص به فى أعماق البحار ، وما يحمله الى سطح القمر ، وما يقرب له البعيد ، فظن أنه أصبح قادرا على كل شيء . . نقول لمن يدعى ذلك بغير علم إنك إذا كنت قادرا كما تدعى . . فقدرتك على الشيء تجعلك قادرا على أن تستبقيه لنفسك ، ولكنك قد قدرت بأمر الله على أن تستفيد من قوانين الله فى الأرض ، ولكن لا تستطيع أن تجعل هذه القوانين وفق هواك . فما يحدث فى الكون خارج عن قدرة البشر جميعا . . والا لما فاجأت الأحداث الناس ، وما كان من يملك لايملك ، ولما وجد من كان يحكم شعبا أو دولة نفسه بين يوم وليلة طريدا مذعورا ، يهرب من مكان

الى مكان . . يختفى من الناس ليحاول استبقاء حياته ، ثم يعثرون عليه فتكون نهايته .

إن الله وحده الذى له الحكم والأمر هو الذى يمكن أن ينزع منه الحياة أو الحكم أو المال بين يوم وليلة . . أو بين لحظة وأخرى.ولو أنه جاء الى الحكم باختياره وقدراته ، لما استطاع أن ينتزعه منه أحد . . ولكنه جاء بقدرات الله وبأسباب الله فى كونه . . ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن ينتزعه منه ما وهبه إياه واستخلفه فيه فى أية لحظة . . واقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الآية ٢٦ سورة آل عمران)

إذن الملك لا يأتيك بأسبابك ، ولا ينزع منك بإرادتك . . ولكنها أقدار الله سبحانه وتعالى هى التى تعطيك الملك وهى التى تنزع منك الملك . فإذا احترمت قدر الله فيك . . أعطاك ما تشاء ، وإذا حاولت أن تتمرد . . أخذ منك ما أعطاك .

الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى :

(يا بن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك ، وإن لم ترض بما قسمته لك ، فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش فى البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما) .

الله سبحانه وتعالى يهب من قوته قوة ، ومن غناه غنى ، ومن قدرته قدرة . ولكن الإنسان يعتقد أنه هو الذى أخذ هذا بذاته ، وأنه يستطيع أن يفعل وأن يغير وأن يبدل .

لقد استطاع البشر خلال ارتقاءات حياتهم المادية أن يتوصلوا إلى أشياء والى اكتشافات ، ولكن كل الاكتشافات العلمية لا تستطيع أن توجد من عدم ، وإنما هم يأخذون المادة التى خلقها الله ويستخدمون العقل المخلوق من الله فيما يفعلون .

وعلى سبيل المثال الذى يضع الكوب يستخدم المادة الموجودة فى الأرض من الرمال الخاصة ، والطاقة التى خلقها الله فى الكون لصناعة هذا الكوب ، ولكن هناك فرق بين ما يصنعه البشر ، وما يتم بقدرة الله تبارك وتعالى .

وكل صناعات البشر لا يستطيع الانسان أن يهب لها الحياة ، ولا يجعلها تتكاثر بذاتها لتعطيك مثلها . فلا يستطيع إنسان أن يصنع كوبا ذكرا وكوبا أنثى ثم يجعلها تتكاثر بذاتها ، كما أنه لا يستطيع أن يعطيها خاصية النمو ، بحيث تنمو الكوب الصغيرة وتصبح كوبا كبيرة . فصنعة المخلوق تبقى على حالتها ولا تنتج مثلها ، ولكن صنعة الله سبحانه وتعالى تختلف ، ذلك أنه خلق من غير موجود . . أى أنه ليست الصنعة فقط من خلقه ، ولكن المادة أيضا من خلقه ، وليست الصنعة على غرار شيء موجود ، ولكنها خلق من غير موجود . . هذا هو الفارق بين صنع الخالق ، وصناعة المخلوق .



الله أحسن الخالقين

إن صنعة الله خلق ينمو بذاته ، ويعطى مثله ليتكاثر ذاتيا ، والمخلوق لا يستطيع أن يفعل ذلك ، ومع ذلك ما ضن الله على خلقه بأن يسميهم خالقين ، واحترم عمل عقولهم فيما أوجدوا ، ولكنه سبحانه وتعالى سمى نفسه أحسن الخالقين .. واقرأ قوله جل جلاله :

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾

(من الآية ١٤ سورة المؤمنون)

ان الله سبحانه وتعالى خلق من لاشيء ، وأنت خلقت من شيء موجود . وهو سبحانه خلق ما يحس وينمو ، وأنت صنعت ما لا يحس ولا ينمو ، وهو جل جلاله خلق شيئا يتكاثر من مثله ، وأنت لا تستطيع ذلك .

إننا إذا أردنا الطعام مثلا ... نأتى الأرض نحرثها ونزرعها ، ثم نحصد ونطحن ونخبز ونعد الطعام . إذن أنا أخذت من كون الله بالفكر الذى أعطاه لى ، والطاقة التى زودنى بها ، وكل هذه الأشياء موهوبة من الله ، وكل ما فعلته أننى استخدمت موجودا .. ولكن الأصل فى الوجود أنا لم آت به ، ذلك أن الخلق الأول من الله سبحانه وتعالى .

حبة القمح التى زرعتها وأنتجت لك المحصول من أين . جئت بها ؟ .. من المحصول الذى قبله . ومن أين أتيت

بالمحصول الذى قبله ؟ . . من ذلك الذى زرع منذ عامين . . وتظل تمضى فى تتبع حبة القمح التى فى يدك ، لتصل بها إلى البداية . . وهى أنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء . . من الله سبحانه وتعالى . . وهل أوجدها الله جل جلاله من محصول سبق ؟ . . لا وانما أوجدها من عدم .

وكذلك كل ما فى الكون . . الايجاد الأول من الله . والله سبحانه وتعالى هدى الإنسان إلى أن يعرف خصائص هذا الوجود الأول ، ليأخذها وتعطيه وجودا ثانيا وثالثا ورابعا وهكذا ، ثم بعد ذلك تدور دورة الحياة مرات ومرات . . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الأنبياء)

وهكذا نصل يقينا إلى ان أصل كل شىء فى الدنيا من الله سبحانه وتعالى . إنهم يتحدثون الآن عن الصفات الوراثية ، وما يمكن أن تؤدى إلى تحسين أنواع النبات وغير ذلك .

ونحن نقول لهم : هل هذه الصفات الوراثية أنتم أوجدتموها ، أم هى من خلق الله سبحانه وتعالى ؟ . . إذن فأنتم تأخذون من موجود ، ولكن إذا أردتم أن تنسبوا لأنفسكم هذا الخلق . . فأوجدوا أنتم صفات وراثية من عدم ، فإن لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فاحترموا خلق الله فى كونه ، وانسبوا كل شىء إلى الله . . لا إلى ذاتكم .

الانسان حين يرى المدنية والتقدم .. فإن عليه أن يفكر تفكيرا إيمانيا فيما وصل اليه ، من مدنية وتقدم ، وأن يرى بعين بصيرته تسخير الله لهذه الموجودات ..

لقد كنت مرة فى زيارة لمدينة سان فرانسيسكو الأمريكية وأرادوا أن يبهرونى بما استطاع أن يحققه العلم ، فأخذونى إلى أضخم الفنادق التى يدار فيها كل شىء بالأزرار ، والتى تتم فيها الخدمة بطريقة آلية .. بحيث تحصل على ما تريد وأنت جالس فى غرفتك . تضغط على زر فيأتيك فنجان القهوة الذى تريده.وتضغط على زر فيأتيك فنجان الشاى أو الطعام الذى تريده . وقالوا ما رأيك ؟ .. قلت اذا كان هذا ما استطاع البشر بقدرات البشر أن يصنعه .. فكيف ستكون الجنة التى هى مخلوقة بقدرات الله سبحانه وتعالى .. لابد أن فيها من النعيم أضعاف أضعاف ما يمكن أن يقدمه البشر مهما ارتقوا بالأسباب .

ثم ان هذا الذى يتم سبقه إعداد بشرى اشترك فيه عدد كبير من الناس ، فهناك من طحن البن ، ومن أعد الماء الساخن ، ومن وضع السكر . وهناك من يراقبه حتى لا ينفد . فإذا شعر أن الموجود قليل وضع كميات جديدة .

اذن فكل نعيم يصنع بالقدرات البشرية وليس كما نراه يحدث فى دقيقة بالضغط على الزر ، ولكن وراءه إعداد طويل اشترك فيه عدد كبير من الناس .

فليست المسألة ـ إذن ـ فى أن تضغط على زر فتعطيك الآلة ما تريده . . هذا هو ظاهر العملية . ولكن البشر مهما ارتقوا فى العلم ، هل يستطيع هذا العلم أن يمدك بما تريده بمجرد أن يخطر الشىء على بالك فتجده أمامك ؟ هذا مستحيل وغير متصور على الاطلاق . ولكن فى الجنة وبقدرات الله سبحانه وتعالى . . بمجرد أن يخطر الشىء على بالك تجده أمامك . ولاتجده أمامك بالامكانيات البشرية ، ولكن بقدرات الله تبارك وتعالى . . ذلك هو المنطق الايمانى . . الذى يجب أن نأخذ به كل تقدم علمى .

فإذا قيل لنا مثلا إننا نستطيع أن نستقل الطائرة ، خلال أقل من ساعة نصل الى آخر الكرة الأرضية . وهذا ما لم يحدث حتى الآن . . ولكن لو أنه حدث فيجب أن نستقبله بكلمة « سبحان الله » . . ونقول إن هذا تم بقدرات وأسباب البشر . . فما الذى سيحدث لنا بقدرات الله تبارك وتعالى ؟

إن كل هذا التقدم العلمى . . هو كشف لقوانين الله فى الأرض . . هو أخذ بالأسباب ، ولكن أى نعيم ذلك الذى سنلقاه اذا انتقلنا من قانون السبب الى قدرة المسبب ؟ . .

أن هذا الارتقاء البشرى إنما يقرب الى أذهاننا القدرات التى وضعها الله فى كونه لنعرف عظمة الخالق ، وندرك أن ما سنلقاه فى الآخره سيكون نعيما لا يوصف ، فلا تبعدنا هذه الأشياء عن الايمان . . ولكن يجب ان تقربنا منه . . ولا تغرنا هذه الأشياء بأنفسنا وعقولنا ، ولكن تزيدنا خضوعا لله سبحانه وتعالى لكننا ـ وللأسف الشديد ـ لا نتلقى العلم بهذا

المفهوم الايمانى ، بل نتلقاه بأن الانسان قد أوجد فى الكون ما يفوق كل القدرات !!

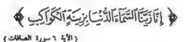
حين وصل الانسان الى القمر ماذا قال الناس فى تفسير الآية الكريمة التى تقول :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾

(الآية ٣٣ سورة الرحمن)

بعضهم قال إن الإنسان قد نفذ من أقطار السموات والأرض رغم أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض . . بعض العلماء أراد أن يسهلوا المسألة على الله تبارك وتعالى (!!) وقالوا إن المقصود بهذه الآية (سلطان العلم) ونقول لهم : إن المقصود هنا هو سلطان الله سبحانه وتعالى ، فلا تسهلوا المسألة ولا تهونوا من قدرات الله جل جلاله .

إن القمر الذى وصلوا اليه هو ضاحية من ضواحى الأرض ، وهو أقرب الكواكب اليها ، وأين القمر من أقطار السموات والأرض ؟ . . إنه كوكب من كواكب السماء الدنيا التى تعلوها سبع سموات ، كل سماء تحتل مساحة هائلة لايدركها إلا خالقها والله تبارك وتعالى يقول :



﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾

(الآية ٦ سورة الصافات)

فكل ما نراه ونحن على الأرض . . هو بعض ما فى السماء الدنيا ، ولكن هناك كواكب تبعد عنا مليون سنة ضوئية . . أى لو أن الأنسان سافر بسرعة الضوء ، وهى سرعة هائلة ، وكل الطاقة الموجودة على الأرض لو جمعت فأنها تعجز عن دفع بشر واحد إلى الفضاء بسرعة الضوء ، فضلا عن أن الجسد البشرى لايتحمل هذه السرعة . .

نقول أنه لو فرضنا أن انسانا سافر بسرعة الضوء ، فهو يحتاج إلى مليون سنة لكى يصل الى هذه الكواكب . . هذا ما عرفناه .

ولكن هناك كواكب وعوالم وشموس لا نعرف عنها شيئا . . فإذا كان العلم البشرى قد استطاع أن يصل بواسطة إطلاق التليسكوبات فى الفضاء إلى هذا البعد الموجود فى السماء . . فما هو الحجم الحقيقى لأقطار السموات والأرض ؟ . .

وأين هذا البعد من قرب القمر من الكرة الأرضية . طبعا بعد القمر يساوى لاشىء بالنسبة لحجم السموات التى لا يمكن لأحد من البشر أن يصل الى مداها . . إلا بسلطان الله تبارك وتعالى .

ولكن لماذا قال الله سبحانه : « الا بسلطان » . . ولم تقف الآية عند قوله : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » ؟ . .

والجواب أنه لو توقفت الآية الكريمة عند استحالة نفاذ الجن والانس من أقطار السموات والارض . . لكان ذلك يلقى

الشك على معجزة المعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده دون كل خلق الله من الملائكة والجن والإنس وغيرهم تجاوز سدرة المنتهى .. وهى المكان الذى ينتهى فيه علم كل خلق الله حتى الملائكة المقربين .. ولو بالوحى .

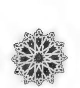
ان قول الحق سبحانه وتعالى : « لا تنفذون الا بسلطان » .. أكد مصداقية معجزة المعراج ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل إلى سدرة المنتهى وتجاوزها بسلطان الله جل جلاله .. ذلك أن جبريل كان يتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رحلة المعراج وهو يصعد السموات سماء بعد أخرى .. إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى .. فتوقف جبريل وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقدم .. وقال جبريل لرسولنا عليه الصلاة والسلام : لو تقدمت لاحترقت ، ولو تقدمت أنت يا محمد لاخترقت .. وكل هذا حدث بسلطان الله تبارك وتعالى وقدرته وحده .. ذلك أن تكوين جسد رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يتغير كلما صعد من سماء إلى أخرى ، ليتحمل ذلك النور الألهى فى السموات .

اننا نقول لهؤلاء الذين يقولون ان المقصود فى الآية هو سلطان العلم .. أين سلطان العلم من قدرة الله سبحانه وتعالى ؟ .. وإذا كان الله جل جلاله يقول فى محكم آياته

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(من الآية ٨٥ سورة الاسراء)

فهل هذا العلم القليل هو السلطان الذى سينفذ به الانسان من أقطار السموات والأرض ؟ . . طبعا لا . . ولذلك كل من قال إنه سلطان العلم متجاوز فى التفسير ، ولكنه سلطان الله تبارك وتعالى الذى صعد به نبينا صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى وتجاوزها .



وأقول لمن يغترون بالعلم البشرى . . أن قليل العلم الذى أعطاه الله للانسان هو الذى صنع كل هذه الحضارات والتقدم العلمى المذهل الذى نراه والذى ستراه الأجيال القادمة من بعدنا إلى يوم القيامة . فإذا كان قليل العلم هو الذى صنع هذا كله ، فماذا يمكن أن يصنع لنا علم الله فى الآخره ؟

إذن فالتقدم العلمى كان يجب أن يزيدنا إيمانا بالله وخشوعا له سبحانه ونحن نعيش فى عالم الأسباب ، وهذا العالم تتفاوت فيه قدرات الناس فى الاقبال على أسباب الله . .

إن يد الله ممدودة بالأسباب لكل خلقه ، والذى يأخذ الأسباب بجدية يقوى على غيره ، فقطعة الأرض التى يعتنى بها الانسان ويحرثها جيدا وينتقى لها البذرة الصالحة . . تعطيه محصولا جيدا ، وذلك الذى يترك الأرض بلا حرث ولا زراعة لا تعطيه شيئا ، وهذا عطاء ربوبية .

لقد خلق الله فى هذا الكون أشياء تنفعل « لك » ، وأشياء تنفعل « بك » . . الاشياء التى تنفعل لك تعطيك بلا مقابل ، وبلا جهد ، وبلا عمل منك . . عطاء لا عمل لك فيه . فالشمس والقمر والنجوم والغلاف الجوى كلها تعطيك دون أن تحتاج منك إلى جهد أو عمل من أى نوع كان . . وعطاؤها متساو للجميع . . لا تعطى واحدا أكثر من الآخر ، ولا تخص شعبا أو مجموعة من الناس بعطاء تحجبه عن الآخرين . هذه

هى الاشياء التى تنفعل لك .

أما الأشياء التى تنفعل بك . . فهى كل ما على الأرض . إذا حرثت وبذرت تعطيك الأرض الثمر ، وإذا لم تحرث ، ولم تبذر لا تعطيك شيئا . إذا بحثت فى باطن الأرض تجد البترول والمعادن وغير ذلك مما هو فى باطن الأرض ، وإذا لم تبحث لا تعطيك الأرض من كنوزها شيئا .

ان الرقى فى الحياة الدنيا والتفاوت بين الدول المختلفة إنما يأتى من الأشياء التى تنفعل بك . فمن عمل بجد واجتهاد يرتقى فى الأسباب ويتقدم بين الأمم ، ومن لا يعمل لا يأخذ شيئا .

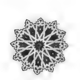
لقد كان الأجدر بنا ـ كأمة مؤمنة ـ أننا كما نرتقى فى عطاء الألوهية ، نأخذ بالأسباب فى الأرض لنرتقى فى عطاء الربوبية ، ولكننا لم نفعل ، وتركنا غيرنا يرتقى بالأسباب ونحن لا نفعل شيئا !!.

الأمم التى أخذت بالأسباب . . أعطاها الله سبحانه وتعالى حرث الدنيا ولو كانت كافرة ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :



(الآية ٢٠ سورة الشورى)

إن عطاء الدنيا هو عطاء ربوبية لابد أن نأخذ فيه بالأسباب . . الله سبحانه وتعالى أعطانا فى بداية الخلق وبلا أسباب مقومات ضروريات الحياة واستمرارها . . فمنذ عهد آدم والماء والهواء والطعام وهى ضروريات الحياة مكفولة للإنسان ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى استدعاه للوجود ، فكان لابد أن يضمن له مقومات حياته . . لذلك أوجد سبحانه الماء الذى يشرب منه ، والثمار التى يأكلها لتحفظ حياته . . والهواء الذى يتنفسه ، والأرض التى يسكنها . . كل هذا من ضروريات الحياة وجده الانسان من أول الخلق على الأرض دون أن يبذل جهدا فيه . فإذا أردت أن أترف حياتى وأرتقى بها ، فلابد أن أعمل عقلى المخلوق من الله فى الكون المخلوق والمسخر لى من الله . . وبذلك أصل الى حياة الرفاهية التى كما قلنا يتم فيها الشىء فى زمن أقل وبمجهود أقل .



لقد أعطانا الله سبحانه وتعالى ضروريات الحياة ، وأعطانا العقل والأسباب التى تعطينا ترف الحياة ، ثم طلب منا أن نتدبر فى آيات الكون ، وألا نمر على هذه الآيات ونحن غافلون عنها . . لذلك فإن التقدم الذى حدث كله . . حدث من علماء تدبروا فى آيات الكون ، واستطاعوا أن يصلوا إلى قوانين الله فى كونه . . وأن يستخدموها فى التقدم بحياتهم . . هذا هو العلم . . الأخذ بآيات الله فى الارض .

ولكن هل خلقنا الله سبحانه وتعالى لنعيش فى كون الأسباب فقط ؟ . . لا . . إن هذه مرحلة من رحلة الحياة الطويلة ، وفى المرحلة التى نعيشها فى كون الأسباب لابد أن نتعب حتى نستريح ، فالذين قدموا كل الاختراعات للبشرية تعبوا حتى وصلوا اليها . . ربما سهروا ليالى طويلة بلا نوم . . واجتهدوا حتى وصلوا إلى ما يريدونه . . هذا هو قانون الدنيا ، فلابد لكى تنجح أن تذاكر . . ولابد لكى تحصل على مرتب أن تعمل . . وهكذا

ان الله تبارك وتعالى يريد أن ينبهنا إلى ان هناك عطاء آخر غير عطاء الربوبية وهو عطاء الألوهية ، ولكى تستحق عطاء الألوهية لابد أن تَجِدَّ وتعمل من الصالحات فى الدنيا ، وأن تلتزم بمنهج الله حتى تستريح فى نعيم الله فى الآخرة .

وأنت مهما تعبت فى الدينا ومهما تنعمت ، فإن مصيرك إما أن تفوتها بالموت ، وإما أن تفوتك هى بقلة عطائها لك . . ولكن الله سبحانه وتعالى فى الآخرة يجعل النعيم خالدا إذا انت تعبت فى العمل بمنهجه فى الدنيا .

وبإيجاز نقول : إن المنهج الإيمانى كان يقتضى أنه كلما زاد الإنسان رقيا فى العلم . . إزداد إيمانا وخشوعا لله سبحانه وتعالى . . وأننا يجب أن ننسب كل شىء فى الكون إلى خالقه وموجده وهو الله سبحانه وتعالى . . ونعرف أنه ما كان من الممكن أن نتقدم ، أو نزداد ترفا فى الكون ، إلا لأن الله سبحانه وتعالى قد وضع فى كونه من الأسرار والقوانين ما يمكننا من ذلك ، ولكننا بدلا من أن ننسب الشىء لفاعله ، نسبناه لأنفسنا ، واعتقدنا أننا حققنا ذلك بذاتيتنا . . وبعلمنا وحسبنا أننا نسيطر على الأشياء بعقولنا وبقوانيننا . . وليس بتسخير الله لهذه الأشياء لنا .

وكانت هذه هى بداية البعد عن منهج الله . . والايمان بمناهج البشر . . لأن الأنسان اغتر بعقله وقدرته .

الفصل الرابع



المألوف ينتهي

الانسان يعيش فى الدنيا وقد ألف أشياء
تعود على رؤيتها ومعايشتها حتى صارت
جزءا من حياته لاتلفت انتباهه ، وهو
ما نسميه الثابت وغير المتغير فى الحياة
الدنيا . . إنه ألف أن تشرق الشمس كل
يوم وأن تغرب ، وألف الليل والنهار ،
وألف البحار بقوانينها ، والأرض بمظهرها الثابت غير
المتغير . . ألف كل عطاء الأشياء الثابتة فى هذا الكون .
ولذلك هو لايفكر فيها . . إنه يأخذها وكأنها حق مكتسب ،
لايتأمل فى خلقها ولا فى نظامها ، وقد لايتساءل عن القوة
والقدرة التى خلقتها والتى تحفظها وتبقيها تعمل بهذا النظام
الدقيق . . ولذلك فإن هناك عددا كبيرا من الناس لايفكرون
فى تلك العطاءات الثابتة فى الكون . . بل يأخذونها كأشياء
تعمل بذاتها ، وتعطيهم من نفسها !!

إن من العجب حقا أن الناس تزداد علما كلما تقدم الزمن ،
ولكنها ـ فى نفس الوقت ـ تقل عملا بمنهج الله ! نحن كل يوم
نزداد علما بقوانين الله وآياته فى كونه ، وكان من المفروض أن
ذلك العلم يقربنا الى الله سبحانه وتعالى ، لأنه يكشف لنا من
أسرار قدرة الله فى كونه ، ولكن زيادة العلم تزيد من شهواتنا
بالنسبة للحياة الدنيا وتمسكنا بها . . ونظراتنا المادية اليها ،
فكلما تقدم الوقت . . سيطرت الشهوات على النفس
البشرية ، فكل يوم يمر يعطينا زيادة فى العلم ونقصا فى العمل
بمنهج الله .

وذلك مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾

(الآيتان ٦ ، ٧ سورة العلق)

أى أن الطغيان البشرى يأتينا حينما نظن أننا قد استغنينا عن الله سبحانه وتعالى ولم نعد فى حاجة إلى العبادة . فالعلم ظاهرا يحقق لنا مانريد . إذا اردنا السفر وجدنا طرقا مريحة سهلة وسريعة فى طائرات مكيفة الهواء ، لايحس الانسان فيها بتعب ، وإذا أردنا الطعام والشراب وجدناه معدا لنا بطريقة حديثة وفى اكياس نظيفة ، وتستطيع وانت جالس فى بيتك ان تستخدم التليفون فيأتيك كل ما تريد ، وإذا أصبنا بمرض وجدنا أحدث الأجهزة العلمية التى تصور لنا كل ماهو داخل أجسامنا وكنا نجهله ، وتبين لنا أين المرض وما هو نوعه ؟ وماهى طريقة علاجه ؟ إن الأجهزة الحديثة تصور لنا مقاطع من كل ما فى جسد الانسان .. مقاطع المخ تبين لنا مكان الجلطة او الاصابة ، مقاطع من الكبد تحدد لنا أين المرض وماهى درجته .. وماهى وسيلة علاجه ..

ولقد تقدمت محاليل الدم .. لتعطينا صورة دقيقة لكل مكونات الدم .. حتى أصبح الناس يعتقدون ان الطبيب هو الذى يشفى !! بينما الطبيب يعالج فقط ، والله هو الذى يشفى ..

وقد يكون العلاج خطأ فيكون من أسباب إنتهاء الأجل .. وقد يأتى الشفاء على يد طبيب شاب حديث التخرج ، بينما فشل أساتذته الذين علموه فى معرفة أسباب الشفاء ..

وليس معنى ذلك أن الطبيب الشاب يعرف اكثر من أساتذته الذين أخذ العلم عنهم ؟ ولكن معناه ان لكل شفاء موعدا حدده الله سبحانه وتعالى . فإذا جاء موعد الشفاء ، كشف الله لهذا الطبيب الناشىء . . عن سر الداء فعالجه ، بينما فشل اساتذته فى الوصول الى العلاج ، ولكن الناس لا تلتفت الى هذا بل ينسبون الشفاء الى عبقرية الطبيب !

وهكذا يقل تذكر الناس للقدرة الالهية ، ويزيد اعتمادهم على القدرة البشرية وما تستطيع ان تحققه ظاهرا ، فيلتفتون الى اسباب البشر وينسون المسبب !! ويعبدون النعمة وينسون المنعم !! فاذا احضر احدهم نوعا من الفاكهة الممتازة يقول هذا من انتاج مزارع فلان !! وينسى ان المعطى وخالق هذا هو الله سبحانه وتعالى . .

ان قليلا منا ـ للأسف ـ هم الذين إذا بدأوا فى تناول الطعام بدأوه بسم الله الذى أعطى وخلق ووهب . . واذا اشبعوا فان الكثيرين منهم نادرا ما يقولون الحمد الله الذى رزقهم بهذه النعم . . بل ان الانسان يعبد عقله ، فيعتقد ان ما حققه فى الحياة من نعم . . هو من ناتج هذا العقل لأنه ذكى ، ولأنه مفكر وعبقرى ، ويتباهى بذلك أمام الناس ، ويعتقد ان النعمة لاتزول عنه لأنه يحسن التصرف ويحتاط لكل شىء ، تماما مثل صاحب الجنتين الذى نسب النعمة لنفسه . . وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

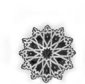
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ

إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

(الآيتان ٣٥ و٣٦ سورة الكهف)

فكأن صاحب الجنتين قد نسب النعمة لنفسه ، وقال إنه بأسبابه البشرية قادر على أن يحفظ النعمة ويبقيها ، وأنها لاتزول عنه ابدا !

ونحن حين نرى شيئا جميلا لابد أن نمتدح الصانع ، ولكننا فى هذه الأيام نمتدح البشر فنقول إن فلانا جعل من ارضه جنة !! وان فلانا قد فعل كذا وكذا ، وان فلانا قد اخترع كذا وكذا ، ولانقول بعون الله ولابتوفيق الله . . ولانذكر الله تبارك وتعالى الذى هو المعطى وهو المانع !!



اتباع المنهج .. وقاية للمجتمع

وما دمنا نعتمد على اشياء تعطينا الراحة وتحقق لنا النعيم ، نحسب أننا قد استغنينا بعملنا عن قدرة الله ، ويؤمن الانسان بنفسه ، حتى أنه يشرع لنفسه بما يتناقض مع منهج الله ، ولايكتفى بهذا ، وإنما يصف المنهج السماوى بأن فيه قسوة !! ويفترى بأن فيه تخلفا أو أنه لايساير العصر !! والحقيقة ان الذى يتخلف هو الذى يبتعد عن منهج الله .

وسر ارتكان الانسان الى الحياة المادية واعتماده عليها إنما حدث لأن هذه المادية لاتقيدنا بسلوك معين يمنع شهواتنا ، بينما منهج الله يقيد سلوكنا فى الحياة بما يحقق لنا الحياة الكريمة ، ولكننا لانلتفت الى ذلك . .

ليس معنى أن الله سبحانه وتعالى عندما قال لى لاتسرق قد قيد حريتى فى ان أمد يدى إلى مال غيرى . . هذه نظرة ضيقة ولكنه فى الحقيقة قد قيد المجتمع كله فى ان يمد يده الى مالى . . فحماني - وأنا الفرد الضعيف - من مجتمع يمكن أن يجردنى من كل شىء .

وحين يطلب منى سبحانه وتعالى . ألا اعتدى على عرض غيرى ، يكون قيد حريتى فى أننى إذا أعجبت بامرأة متزوجة من غيرى أن أغريها واعتدى عليها ، ولكننا لاننظر إلى ان الله سبحانه وتعالى قد منع الألوف من الأزواج والشباب فى أن يعتدوا على عرضى ليصبح مباحا للجميع .

هذا ما يفعله منهج الله .. أنه يحمينى ، ويحمى مالى وعرضى وأولادى .. ولكن نظرق الضيقة وشهوتى العاجلة .. تنسينى ماحمانى الله منه ، ولهذا كلما تقدمت الحضارة المادية .. انحدرت الأخلاق وتدهورت ، وأصبح ماهو حرام مباحا فى عرف المجتمع وليس بقوانين الله .

ان الانسان حين يظن انه قد استغنى بعلمه او بجاهه او بماله او بقوته ، او بأشيء مما أفاء الله به عليه .. يأتى الله جل جلاله ليخرجه من هذا الظن الى الحقيقة ، ويحدث ذلك إما بالموت ، وإما بقيام الساعة وتدمير كل ماهو مألوف للانسان فى الدنيا يعتقد أنه حققه بذاته ، ليقول له الله سبحانه وتعالى .. مادمت قد حققته بذاتك فاحتفظ به ان استطعت الى ذلك سبيلا ..

ان الحقيقة الأولى فى الحياة هى الموت ، والموت يقف أمامه كل ما فى الدنيا عاجز خاشع ذليل ، فأشهر الاطباء الذين اعتقد الانسان انهم يحفظون عليه صحته ، وأنهم يستبقون الحياة فى جسده ، يقفون عاجزين خاشعين أمام الموت لايملكون حيلة ولايستطيعون سبيلا ..

كذلك النعمة التى اعتقد الأنسان انها تستطيع ان تحقق له مايشاء ومايريد ، وانه بقوته وسلطانه يستطيع ان يفعل ما يشاء .. تقف هى الأخرى عاجزة عن أن تعطيه من القدرة والقوة ما يبقى الحياة فى جسده . وفى ساعة الاحتضار يرى الانسان كل ما غاب عنه وكل ما أخبره الله به وطلب منه ان يؤمن به يراه أمام شاهدا .. انها اللحظة التى تخمد فيها

البشرية .. ويصبح الانسان الذى كان يعتقد أنه القادر العزيز القوى .. ذليلا خاشعا لايقدر على شئ ! ..

وبخروج الروح يخرج الانسان عن كل مألوف الحياة الى عالم آخر لا إلف له به ، والموت ليس نهاية كما يعتقد كثير من الناس .. ولكنه انتقال من حياة الى حياة .. من حياة دنيوية لها قوانينها .. الى حياة برزخية لها قوانين اخرى .. ويرى مالم يكن يراه .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

(من الاية ٢٢ سورة ق)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف :

(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)

كيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ان الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ؟! » كيف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم .. «إن الناس نيام» بينما هم فى حياة اليقظة التى يعيشون فيها ؟ « فإذا ماتوا انتبهوا » .. وكيف يكون الانسان وهو مستيقظ وحى يملأ الأرض حركة نائما ؟ .. فإذا مات ورقد فى قبره يكون منتبها ؟ ..

نقول ان الناس فى الحياة الدنيا تشغلهم شهواتهم وأموالهم وما يريدون تحقيقه فيها .. يشغلهم كل هذا عن حقيقة الحياة الدنيا ، فلا يتدبرون فى آيات الله .. ويسوق الله سبحانه وتعالى لهم الدليل بعد الدليل .. ليجعلهم يؤمنون ولكنهم

يعْرضون ، فكأنهم نيام عن حقيقة ماحولهم ، فإذا ماتوا رأوا كل شيء مما وعدهم الله به واضحا جليا لا لبس فيه ، فتكون هذه لحظة الانتباه إلى الله ومنهجه وحقيقة هذا الكون .

إن الانسان النائم يسير على غير هدى لأنه مغمض العينين . . فاذا أبصر رأى وعرف . إذن اول مايخرج الانسان عما ألفه فى الدنيا هو الموت ، والانسان عندما يحتضر يرى مصيره إما الى الجنة وإما الى النار . . انه ساعة الاحتضار يعرف يقينا أنه سيموت لما يراه فى هذه الساعة . . والناس تعتقد أن الاحتضار بالنسبة لكل إنسان مساو للآخر ، فكل إنسان يحتضر ويموت ، ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى اخبرنا انه ساعة الاحتضار يودع الحياة الدنيا ولايخرج كل منا بنفس الطريقة ، بل من هنا يبدأ الاختلاف » واقرأ قول الله جل جلاله :

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(الآية ٣٢ سورة النحل)

إذن فالانسان الصالح المؤمن حين يحتضر يرى الملائكة ، والإنسان الكافر غير المؤمن يرى أيضا ساعة احتضاره الملائكة ، ولكن الصورة مختلفة تماما . .

فالانسان الطيب المؤمن يرى ملائكة الرحمة يدخلون عليه مبشرين بالجنة ، ويقرأون عليه السلام . . وتكون وجوههم مستبشرة ، وحينئذ يفرح الانسان المؤمن . . لأنه سينتقل الى حياة طيبة أحسن مما كان فيه فى الدنيا ، ويكون وجهه مستبشراً

وأساريره منفرجة وهو يرى أن دار الاختبار قد انتهت ، وانه سينتقل الى دار النعيم يتمتع فيها بقدرات الله تبارك وتعالى ، يتهلل وجهه ، وحين تنظر اليه وهو يحتضر تعرف انه يحس بأنه منتقل الى مكان أعلى من الذى عاش فيه ، وان وعد الله له بحسن العاقبة قد تحقق بالفعل .

والكافر يرى الملائكة ايضا وهو يحتضر .. وفى هذا يقول الله تبارك وتعالى يصف هذا اللقاء المشئوم :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

« الآيتان ٥٠ و ٥١ سورة الأنفال »

وهكذا نرى الفارق الهائل بين الانسان المؤمن ، والانسان الكافر ساعة الاحتضار . الملائكة تقول للانسان الكافر .. هأنتذا ترى ما كنت تكذب به فى الحياة الدنيا ، وترى العذاب الذى ينتظرك .. فإن كان لك قوة أو قدرة ، فاخرج نفسك من هذا .. إهرب إن كنت تستطيع ولكنك لاتستطيع .

غرتك قدرتك فى الدنيا فبغيت وظلمت وعصيت ، وقلت على الله غير الحق .. واستكبرت فى الأرض .. والآن انتهى كل ما ألفته فى حياتك الدنيوية .. فآلهتك التى كنت تعبدها من دون الله هربت واختفت لأنها زيف .. واصدقاؤك الذين كانوا يعينونك على الباطل وعلى المعصية لايملكون لك ولا حتى لأنفسهم نفعا ولا ضراً ، وكل من نصرك فى الدنيا بغير حق .. أصبح الآن عاجزا عن أن يحميك ..

ويحدثنا القرآن الكريم . . انه فى ساعة الاحتضار يكون هناك ضرب وايذاء من الملائكة للكافر ، الذى طعم خير الله ومنع شكره . .

والمعروف ان العذاب لايكون إلا مع وجود الحياة ، فأنت لاتستطيع ان تعذب جسدا ميتا ، ولكن لكى يحس الجسد بالعذاب . . لابد أن تكون فيه روح ، ولذلك فإن مايحدث من الملائكة من ضرب وإيذاء ، إنما يحدث ساعة الاحتضار وفى الجسد حياة . . ولذلك تجد الكافر عند موته وجهه مكفهر ، وعضلاته وجهه منقبضة ، وهو يرى المصير الاسود الذى ينتظره .

اذن فساعة الاحتضار . . يفرق فيها بين المؤمن والكافر ، وذلك بخلاف الحياة الدنيا . . ففى الدنيا قد يكون للكافر من الجاه والعز والسلطان والعلو والشرف ما ليس للمؤمن ، ولكن ساعة الاحتضار تبدأ التفرقة وينتهى كل ما الفناه فى الحياة الدنيا حيث يرى الكافر الملائكة وقد جاءوا بمقدمات العذاب وانهالوا ضربا عليه ، ويرى المؤمن الملائكة وقد جاءوا بمقدمات النعيم وبشرى الجنة . . بل إن هناك تحديا من الملائكة . . للكافر ساعة احتضاره . . واقرأ أقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ

أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

« من الآية ٩٣ سورة الانعام

الملائكة يقولون لكل ظالم أو كافر يحتضر . . إن كانت لك قوة الآن كما كنت تدعى فى الحياة الدنيا فاخرج نفسك مما أنت فيه . . خلص نفسك إذا كانت لك قوة او نفوذ ، ولكنك لاتستطيع . . لقد كنت فى الحياة الدنيا تدعى أن لك قدرة وقوة . . ولكنك الان عرفت الحقيقة ، وعلمت أن القوة لله جميعا ، وأن كل ماعندك من الطاقة او القوة او السلطان كان من الله . . أما ذاتك فلم تكن تملك شيئا . لقد صورت لك نفسك أنك تستطيع وتستطيع وانك قادر ، ولكنك الآن فى لحظة الصدق التى ليس فيها ظن ولاشك ولكن فيها يقين .

وعندما ينتقل الأنسان الى حياة البرزخ . . وهى نوع من الحياة يعيشها الإنسان بين الموت والبعث ، فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالقليل عن قوانين هذه الحياة . . ولكنها نوع من الوجود .

الإنسان يسمع وهو ميت ولكنه لايستطيع أن يرد . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب قتلى غزوة بدر من الكفار فناداهم ، فقال ياأبا جهل بن هشام ، ياأمية بن خلف ، ياعتبة بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا . فسمع عمر رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

يارسول الله كيف يسمعون وَأَنَّى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال والذى نفسى بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم ، ولكنهم لايقدرون ان يجيبوا) .

والله سبحانه وتعالى قد أنبأنا فى القرآن الكريم . . ببعض مايحدث للموتى فى قبورهم . . فقال جل جلاله . .

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾

« الآية ٤٦ سورة غافر »

ومعنى ذلك أن هناك حياة فى البرزخ . . وأن هذا النوع من الحياة فيه تعقل للإنسان يجعله يميز بين الأشياء ، وإلا لو كان القبر سكونا وغيبة تامة عن الوجود ، ما كان يمكن أن يعرض آل فرعون على النار مرتين فى كل يوم . . وكونهم يعرضون على النار . . معناه أنهم يستطيعون أن يميزوا ، وإلا لما عرفوا أن هذه نار ، وأنهم سيعذبون فيها ، لأن عرضهم عليها كل يوم لايمكن أن يكون له معنى . . إلا إذا كان يؤلمهم إيلاما نفسيا شديدا . . لأنهم على يقين أنه سيعذبون فيها ، وانتظار البلاء أشد من وقوعه ، ولو لم يكونوا يتألمون من هذا العرض ما عرضوا عليها . . لأنه فى هذه الحالة لايكون هناك هدف قد تحقق .



الزمن .. وحياة البرزخ

إن فى قول الحق تبارك وتعالى :
«النارُ يُعْرَضُونَ عليها غدواً وعشيا»

.. اشاره إلى أن هناك نوعا من الزمن فى حياة البرزخ يختلف عن مقاييس الزمن الذى نعيش فيه ، لأن الغدو والعشى اوقات من صفات الزمن .

ولكن متى يعرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا ؟

.. ان الآية الكريمة تعطينا حالتين لآل فرعون هما : العرض على النار، ودخول النار .. هل كان آل فرعون يعرضون على النار فى الحياة الدنيا ؟ .. طبعا لا .. إنهم لو رأوا النار وهم فى الحياة الدنيا لسجدوا لله تبارك وتعالى ولقتلوا فرعون ذلك الاله المزيف ، لأنه فى هذه الحالة سيوردهم النار .. مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾

«الآية ٩٨ سورة هود»

فلو أن آل فرعون كانوا يعرضون على النار فى الحياة الدنيا لعرفوا أن عبادتهم لفرعون ستؤدى بهم الى العذاب ، وما كانوا عبدوه ابدا ..

ولو قلنا أن آل فرعون يعرضون على النار يوم القيامة . . لكان ذلك خطأ لأنهم يوم القيام يدخلونها . . والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

«من الآية ٤٦ سورة غافر»

ومراحل حياة الانسان ثلاث : الحياة الدنيا ، وما بين الموت والبعث (وهى حياة البرزخ) ، وعندما تقوم الساعة . هذه المراحل الثلاث سنحاول أن نحدد من خلالها متى يعرض آل فرعون على النار . .

وإذا كان ذلك لم يحدث فى الدنيا ويوم القيامة يدخلون النار ، فإن العرض لابد أن يتم ما بين الموت والبعث . . اى فى حياة البرزخ .

اذن فهناك حياة فى البرزخ . . ومن خلال هذه الحياة يعرض آل فرعون على النار .

والسؤال هنا : هل يعرضون على النار وهم فى قبورهم ؟ . . أو أنه يتم ذلك بأن الله سبحانه وتعالى يجمعهم ليعرضوا على النار . .

وسواء تم العرض وهم فى قبورهم . . أو بأى طريقة أخرى . . فإننا نعرف من الآية الكريمة . . بأن هناك نوعا من الحياة فى البرزخ فيه تعقل وإحساس . . ونعرف ايضا أن الإنسان فى البرزخ يعرف أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار ، وأنه يرى مقعده فى الجنة أو مقعده فى النار ، وذلك مصداقا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

«القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» .

ولذلك فإن عذاب القبر أن يرى الإنسان مقعده من النار عذاب رهيب ، لأنه كما قلنا انتظار البلاء أشد من وقوعه . . ذلك أنه لو عرفت مثلا يقينا أن ابنك الوحيد سيموت فى حادث سيارة بعد عام . . ألا يكون ذلك عذابا لك طوال هذا العام . . حتى أنك تتمنى الموت ليريحك من هذا العذاب . . إذن فانتظار البلاء أشد عذابا من وقوعه . .

على أن هناك آية اخرى . فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾

«الآية ١٣ سورة الممتحنة»

لابد أن نلتفت الى قوله سبحانه وتعالى : «كما يئس الكفار من اصحاب القبور» . . ومعنى انهم يئسوا أن هناك نوعا من التعقل قد أدخل فى نفوسهم اليأس ، لأنه إذا كان الانسان فى قبره بلا إحساس ولا شعور . . فهو لايملك القدرة على أن يأمل أو ييأس ، ولكن كونهم يئسوا يدل على أنهم عرفوا يقينا أن مصيرهم النار .

هذه بعض الصور التى أعطاها الله لنا عن حياة البرزخ . .

لنعرف أنها حياة لها قوانينها ، ولنعرف أن الله سبحانه وتعالى قد اختص آل فرعون بالعرض على النار فى حياة البرزخ . . ليتجبرهم وعبادتهم لفرعون . . لأن هذه ليست معصية (اوامر) ، ولكنهامغصية (آمر) . . ولأن آل فرعون جاءهم موسى بآيات كثيرة تثبت الألوهيه لله سبحانه وتعالى وحده ، ولكنهم سخروا بها ، وأن إدخال الكافرين والعاصين إلى النار لايتم إلا بعد الحساب يوم القيامة . . ولكن مرحلة الحياة فى القبر يعرف الأنسان فيها مصيره . . إما يكون منعما فى قبره . . فيكون فى نعيم لأنه يعرف ما ينتظره . . وأما يكون من أهل النار والعياذ بالله . . فيكون فى عذاب شديد لأنه يعرف ما ينتظره . . أما دخول الجنة أو النار . . فلا يتم إلا بعد الحساب يوم القيامة .

وخلاصة القول أن الانسان كلما تقدم فى العلم حسب ـ زيفا ـ انه قادر ، وأن القدرة من ذاته ، وأنه متمكن فى الأرض ، فيأتى الموت ليفيق من وهمه الكبير ، ويعرف أنه لاذات له ، وأن كل ماهو موجود فى الدنيا هو من صنع الله سبحانه وتعالى ، ولكن الوقت يكون قد فات لأن يتوب . . لأن التوبة ساعة الاحتضار توبة إجبار بعد مارأى ، وعندما يرى الانسان مصيره ساعة احتضاره لاتكون التوبة إيمانا . . لأن الايمان لابد أن يكون بالغيب مصداقا لقوله تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

«من الآية ٣ سورة البقرة»

وقد انكشف له ما كان غيبا عنه وانتهت مرحلة الايمان



الفصل الخامس



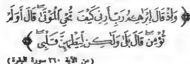
الثابت .. يتغير !!

أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هناك نوعا من الحياة فى البرزخ . . ولكن الناس تعيش هذه الحياة بمفهوم الحياة الدنيا وهذا خطأ . لأن مفهوم الحياة الدنيا له قوانينه ، وحياة البرزخ لها قوانينها ، والحياة فى الآخرة لها قوانينها . وكل من هذه القوانين تختلف تماما بالنسبة للإنسان . .

فالحياة فى الآخرة مثلا أبدية ليس فيها موت ، والحياة فى الدنيا فيها موت ، والحياة فى البرزخ فيها كشف لما هو غيب عنا ، والله تبارك وتعالى قد عرفنا ببعض الآيات الكبرى التى ستحدث عند نهاية العالم .

هذه الآيات التى نتحدث عنها نعرف يقينا أنها ستحدث ، لأن الله جل جلاله أخبرنا بها . ولكن ليس من المفروض أن نعرف كيفية حدوثها .

إن هناك فرقا بين أن تؤمن بالحقيقة ، وأن تعرف كيفية حدوثها . فالإيمان بالحقيقة شىء ، والإيمان بكيفية حدوثها شىء آخر . كيفية الحدوث هذه من غيب الله سبحانه وتعالى ، ولذلك عندما سأل ابراهيم ربه عن الكيفية التى تحدث بها عملية احياء الموتى كما يروى لنا القرآن الكريم :



﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

حاول بعض المشككين من الناس أن يفسر هذه الآية على أساس أنها تمس إيمان ابراهيم أبي الأنبياء عليه السلام . . وهذا افتراء على ابراهيم ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل ابراهيم للناس اماما . ومحصه تمحيصا وابتلاه بابتلاءات لا حصر لها ولا عد ، ثبت فيها ثبوت الجبال الرواسي ، وجعل من ذريته الأنبياء . ولا يمكن أن يكون كل هذا التكريم لإبراهيم عليه السلام . . الا أن يكون مؤمنا حقا ، ومن أساسيات إيمانه ان الله قادر على أن يحيى الموتى .

لقد كان سؤال ابراهيم هنا عن الكيفية فقط ، وأراد الله تبارك وتعالى أن يفهم ابراهيم وكذلك الناس جميعا ألا يسألوا عن الكيفية ، لأنك مع الله سبحانه وتعالى لا تسأل كيف ؟ . . فالله يقول للشيء : « كن فيكون » . . والكيفية هنا فوق قدرات العقول كلها ، ولذلك أدخل الله جل جلاله ابراهيم فى تجربة ايمانية ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

هل عَرَّف الله سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام بالكيفية ؟ . . لا . . ولكنه جعله يشهدها دون أن يعطيه أسرارها ، لأن هذا ـ كما قلنا ـ فوق قدرة العقل البشرى .



هذه القصة لم تحدث مع ابراهيم وحده ، بل حدثت مع أحد أنبياء اليهود ، وحدثت مع زكريا عليه السلام ، وحدثت مع مريم عليها السلام .

لقد مر أحد أنبياء اسرائيل على قرية دمرها عذاب من الله تبارك وتعالى . . فقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾

من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

هذا النبى تساءل عن كيف سيحيى الله هذه القرية بعد أن دمرت تدميراً شديداً ؟ . فأراد الله سبحانه وتعالى أن يلفته إلى أنه ليس مع الله كيف ؟ . فأماته مائة عام ثم بعثه ، وسأله كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

إنه عندما سأل عن الكيفية أماته الله مائة عام ثم بعثه ، ولما

استيقظ لم يكن شيء فيه قد تغير ، بل كان على نفس الهيئة التى مات عليها . . استيقظ شابا قويا ، لا شيء حوله ينبئه بأنه مات مائة عام . . ولذلك عندما سأله الله تعالى : ﴿ كم لبثت ﴾ ؟ . قال قياسا على عادة النوم عند الإنسان : ﴿ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ . . لأن الإنسان لا يستطيع أن ينام أكثر من ذلك . حينئذ أعطاه الله سبحانه وتعالى الدليل المادى على أنه مات مائة عام ثم بعثه . . فقال جل جلاله :

﴿ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

وهكذا أراه الله سبحانه وتعالى من قدراته كيف أنه حفظ له طعامه لم يتغير ولم تؤثر فيه السنون ، ثم نظر الى حماره فوجد أن الحمار أصبح عظاما نخرة . . أى أنه مات ثم تعفن ثم تحلل حتى أصبح عظاما نخرة ، وهذا ما لا يمكن أن يحدث بين يوم وليلة ، ثم أعطاه الله آية أخرى ليشهد عودة العظام النخرة وعودة الحياة الى حماره . . حينئذ قال :

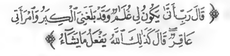
﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

إن طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى . . قد أوقف الزمن عن الطعام فبقى طازجا لم يفسد ، وأجرى الزمن على الحمار

فأصبح عظاما نخرة . إلله تبارك وتعالى يفعل بقدرته الشيء وضده ، ولكن هل أراه الله جل جلاله الكيفية التي يتم بها ذلك ؟ . . لا ، ولكنه سبحانه وتعالى أدخله في تجربة عملية ليعرف أن الله على كل شيء قدير .

وزكريا عليه السلام حين دخل المحراب على مريم فوجد عندها فاكهة في غير موسمها ماذا فعل؟ . . لقد اتجه الى الله سبحانه وتعالى بدلائل القدرة التي رآها . . وطلب منه جل جلاله أن يرزقه بالولد . لكن زكريا تذكر الأسباب وكيف أنها منعدمة عنده وعند زوجته فقال كما يحكى القرآن الكريم في قوله تعالى :

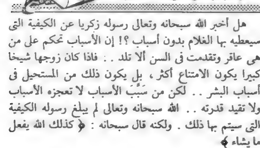


(الآية ٤٠ سورة آل عمران)



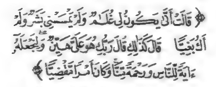


الأسباب وطلاقة القدرة



هل أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله زكريا عن الكيفية التى سيعطيه بها الغلام بدون أسباب ؟! إن الأسباب تحكم على من هى عاقر وتقدمت فى السن ألا تلد . . فاذا كان زوجها شيخا كبيرا يكون الامتناع أكثر ، بل يكون ذلك من المستحيل فى أسباب البشر . . لكن من سَبَّبَ الأسباب لا تعجزه الأسباب ولا تقيد قدرته . . الله سبحانه وتعالى لم يبلغ رسوله الكيفية التى سيتم بها ذلك . ولكنه قال سبحانه : ﴿ كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾

ومريم ابنة عمران عندما بشرتها الملائكة بأنها ستلد عيسى ابن مريم . . ومع أنها رأت معجزات كثيرة تخرق قانون الأسباب . . إنه يأتيها الطعام فى غير موسمه ، وإنه يتواجد عندها دون أن يحضره أحد ، وهذا عطاء من الله لها بدون الأسباب ، لكن عندما بشرت بالغلام رجعت الى الأسباب كما يروى لنا القرآن الكريم :



﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾

(الآيتان ٢٠ و٢١ سورة مريم)

وفى سورة آل عمران :

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

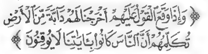
(الآية ٤٧ سورة آل عمران)

وهكذا عندما تساءلت مريم كيف سترزق بغلام ولم يمسسها بشر ؟ . . والطفل ـ بأسباب الدنيا ـ لا يأتى الا من اجتماع رجل وامرأة لم يخبرها الله سبحانه وتعالى عن الكيفية التى سيتم بها ذلك ولكنه جل جلاله قال : ﴿ قال كذلك قال ربك ﴾ .

كذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى عندما سأله انبياؤه ورسله الذين اصطفاهم واختارهم من خلقه ، وكلفهم بإبلاغ منهج السماء للأرض . . (كيف) يحدث ما حدث . . قال الحق جل جلاله : ﴿ قال كذلك قال ربك ﴾ . .

كذلك اذا تحدثنا عن الآية الكونية التى سيريها الله لعباده والساعة تقترب من موعدها لا نقول ولا نتساءل كيف يحدث ذلك بعد أن رأينا طلاقة قدرة الله ، وأنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

يقول الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم منبئا بما سيحدث من آيات عندما تقترب النهاية ايذانا بفناء العالم :



(الآية ٨٢ سورة النمل)

إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا انه بعد أن يصل الناس الى قمة العلم الدنيوى . . ويحسبون أنهم قد حكموا كل شىء ، وسيطروا على كل شىء ، وأصبحت الأرض خاضعة لهم . . يأتى الله سبحانه وتعالى بآية تثبت لهم عجزهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى .

لقد وصل الإنسان الى القمر ، وقد يصل الى المريخ ، والعلم يعطينا كل يوم شيئا جديدا ، حتى أنه ألغى المسافات فى العالم كله ، فأصبح الحدث الذى يقع فى منطقة ما ، يراه الناس فى كل انحاء الأرض فى نفس لحظة وقوعه ، وأصبح الإنسان يتكلم فى أى مكان من الأرض ، فيصل صوته الى الدنيا كلها فى نفس لحظة كلامه ، وهناك اختراعات قادمة ربما تحقق أكثر من ذلك .

لكن فى الوقت الذى يكون فيه الإنسان مغترا بعلمه مفتونا بما حقق . . يخرج الله تبارك وتعالى له من الأرض دابة . . هذه الدابة تتحدى قدرات البشر ! فكل ما أتيح لهم من علم ، وكل ما كشفه الله سبحانه وتعالى من أسرار فى كونه للانسان ، لا يجعله يستطيع أن يجعل الدابة تتكلم . . فيخرج الله سبحانه وتعالى لهم من الأرض دابة تكلمهم !!

ولكن . . هل ستتكلم هذه الدابة لغة واحدة ؟ . . أو ستتكلم بكل لغات الأرض لتكون المعجزة أكبر ؟! لا أحد يستطيع أن يجزم بشىء . ولكن هذه الدابة ستثبت للبشر جميعا أن علمهم قاصر ومحدود . لقد اعتقدوا ـ بما وصلوا اليه من علم ـ أنهم قد سيطروا على كل ما فى الأرض ، ثم فى ظل هذا الإعتقاد الزائف يجدون هذه الدابة التى تتكلم تتحداهم وتثبت عجزهم .

كيف سيحدث ذلك ؟!

لقد بينا أنه ليس مع الله كيف .. وستكون هذه الدابة من العلامات التى تدل على أن الساعة أصبحت وشيكة الحدوث .. هذه العلامة هى أن تتكلم الدابة !

علامة أخرى من علامات القيامة يخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها)

لقد ألف الناس فى الحياة الدنيا أن الشمس تطلع من المشرق . هذا الإلف الذى حدث بإرادة الله سبحانه وتعالى يقلبه لنا ويخرق قانونه فى آخر الزمان ! . .

كيف سيحدث ذلك ؟ . .

ليس مطلوبا منا أن نعرف . . والمهم أن نظام الكون سينقلب ، ويأتى الله تبارك وتعالى إلى النظام الثابت الذى اعتاد عليه الجميع ، ليغيره بعد أن ظن البشر أنه باق وأنه سيظل هكذا دون تغيير أو تبديل . . وأن علمهم الذى حصلوه يتيح لهم القوة والمنعة .

ثم تأتى آية من آيات الله تنقض هذا كله فى لحظة ، عندئذ يتبين للناس عجزهم وضعفهم ، وانهم لا يستطيعون ـ مع قدرة الله جل جلاله حولا ولا قوة .

عندما تطلع الشمس من مغربها

إن هناك فرقا ـ كما قلنا ـ بين أن نؤمن بالحقيقة ، وأن نعرف كيفية حدوث هذه الحقيقة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه قبل قيام الساعة ستطلع الشمس من مغربها ، وذلك يؤكد لنا حقيقة أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يغير ولا يتغير ، وأنه لا ثبات ولا بقاء لشىء فى الكون ، وأن كل ماتراه ثابتا يأتى له وقت يغيره الله متى شاء .

وإذا أردنا أن نضرب لذلك مثلا يقرب ذلك للأذهان ـ ولله المثل الأعلى ـ بالمجموعة الشمسية التى نعيش فيها فماذا نرى ؟! الأرض تدور حول الشمس ، والأرض تدور حول نفسها ، والقمر يدور حول الأرض . الا نجما اسمه الفيجا او النسر الواقع ، والله سبحانه وتعالى قال لنا فى القرآن الكريم :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

(الآية ٣٨ سورة يس)

لقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يضرب لنا صورة حركة الشمس فقال جل جلاله : ﴿ تجرى ﴾ ليلفتنا الى أن حركة الشمس سريعة . لأن الجرى أسرع من المشى . . ومستقر الشمس مكان لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى . .

ومادامت الشمس (تجرى) لمستقر لها ، وأن كل فعل له رد

فعل مساو له فى القوة ، ومضاد له فى الاتجاه . . فيمكننا أن نتصور - وهذا مثل لتقريب الصورة فقط ، ولا علاقة له اطلاقا بكيفية الحدوث - أنه من الممكن إن كان مستقر الشمس هو نهاية حركتها فى اتجاه معين ، أن ترتد على عكس سيرها وبالقوة ذاتها فتطلع من مغربها .

إنك اذا ضربت كرة بقوة فى حائط معين ، فإنها ترتد منه بنفس القوة وعكس الاتجاه . فاذا كانت المجموعة الشمسية تسير الى مستقر لها ، فقد يأتى يوم - حين ينتهى مسارها - ترتد بالعكس . والحق سبحانه وتعالى يقول (والشمس تجرى لمستقر لها) أى أن لها مستقراً ستقف عنده .

قد يكون وقوفها عند المستقر يجعلها ترتد فى عكس اتجاهها ، فإن كانت تأتى من المشرق ، فستأتى من المغرب .

هذا مثل تقريبى لأننا جميعا لا نستطيع أن نجزم ، أو حتى نعطى احتمالا لما سيحدث ، ولكنها صورة تقريبية ليتصور العقل البشرى امكانية طلوع الشمس من مغربها .

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا حقيقة هامة مرتبطة بهذه الآية الكبرى . . هى أنه حين تطلع الشمس من مغربها لا تقبل التوبة . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف :

(إنّ الله يَبْسُطُ يَدَهُ بالليْل لِيَتُوبَ مُسيُء النهارِ ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنهارِ ليتُوبَ مُسيُء الليلِ حتى تطلعَ الشمسُ من مَغْرِبهاَ)

إذن طلوع الشمس من مغربها هو آية كبرى من آيات الله ستحدث ، فإذا حدثت لا تقبل التوبة .



ننتقل بعد ذلك إلى علامة اخرى من علامات الساعة ، عندما تكون وشيكة الحدوث .. اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾

(الآيات من ١٠ــ١٢ سورة الدخان)

هذه علامات أخرى من العلامات الكبرى لنهاية العالم .. وكل الآيات التي تحدثنا عنها هي من العلامات الكبرى لنهاية العالم ، ذلك أن السماء ستأتي بدخان يغطى الأرض كلها ، وهذا الدخان سيحيط بكل مكان بعد أن يكون الإنسان قد عصى واغتر وترك منهج الله ، واعتقد أن الدنيا تسير بقوانينه هو . حينئذ يأتى هذا الدخان وفيه عذاب للناس ومحيط بالأرض .. فيتضرع الناس الى الله تبارك وتعالى ان يرفع عنهم العذاب لأنهم آمنوا وتابوا وعادوا الى طريق المنهج ..

ولكن بمجرد أن يرفع الله عنهم العذاب يرتدون كافرين !! فتأتى بعد ذلك البطشة الكبرى والإنتقام الإلهى من أولئك الذين يَرَوْنَ آيات الله ويجحدونها .

أن هذه التحديات التى أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هى الآيات الكبرى لقرب نهاية العالم . لقد تحدى الله سبحانه البشر جميعا أن يجاروا فعله وقدرته . يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

• (الآيتان ٧٣ و ٧٤ سورة الحج)

هذا التحدى من الله لخلق الله جميعا تحد استمر أربعة عشر قرنا وسيستمر حتى نهاية العالم دون أن يستطيع الإنسان أن يخلق ذبابة . . ذلك المخلوق الضعيف الذى أراد الله سبحانه وتعالى أن يتحدى به الدنيا كلها مجتمعة دون ما تحديد لزمان أو مكان ، ودون ما تحديد لشعب معين أو لفئة معينة أو لجنس معين ، وإنما طلب الله تبارك وتعالى من علماء العالم جميعا أن يتحدوا ويتعاونوا ويتكاتفوا ليخلقوا الخلية الحية ، ولكنهم حتى الآن وإن استطاعوا أن يحققوا أشياء كثيرة فى علوم الفضاء وغيرها . . الا انهم لم يستطيعوا أن يخلقوا الخلية الحية .

إذن فهناك تحد أتى منذ نزول القرآن الكريم ، وتحد يأتى قرب نهاية العالم ، وكل هذه التحديات لم يستطع أحد أن يواجهها ، لأن المتحدى هو الله سبحانه وتعالى ، وكلما مر الزمن . . يأتى الله بتحديات أكبر للبشر ، لماذا ؟ لأنه كلما مر الزمن ضعف الخط الإيمانى . . وازداد الناس تعلقا بالعلم وازدادوا غرورا بعقولهم . . والله تبارك وتعالى يبين لهم تفاهة علمهم بالنسبة للقدرة الألهية .

ولعل بعض الناس يتساءلون هل سيضعف القرآن فى آخر الزمان كما يضعف الخط الإيمانى ؟! ونقول لا . . إن الايمان سيضعف ، ولكن القرآن سيعلو ، ونحن نرى ذلك الآن . فبينما يقل الإيمان ، يعلو القرآن . . فنجد من يهتم بطباعة المصاحف الأنيقة المزخرفة بماء الذهب ، ونجد أن كل إنسان حريص على أن يكون عنده مصحف أو أكثر فى بيته ، أو فى سيارته أو فى محل عمله وربما لو بحثت لوجدت أنه لم يقرأه ولو مرة واحدة . . وتجد من غير المسلمين من يعتنى بطباعة القرآن طبعات فاخرة ، ومن يكتب القرآن كله فى صفحة واحدة ، ومطابع المصاحف فى اليابان وايطاليا والمانيا الغربية . . كل هذا يحدث الآن . . حتى أن الله سبحانه وتعالى يسخر غير المسلمين بطباعة القرآن بشكل يليق بجلالة كلماته !! ولذلك فأنت تتعجب حين ترى من ليس بمسلم يخدم طباعة القرآن . . ولايخدم طباعة الكتاب الذى يؤمن به !! .

إن خط القرآن سيعلو ، لأنه محفوظ من الله سبحانه وتعالى . . ولكن الخط الإيمانى هو الذى سيضعف كلما تقدم الزمن .

وكان المفروض أن يكون العكس . . لارتفاع مدارك الإنسان واطلاعه على بعض ما أظهره الله له من أسرار الكون وقوانينه التى دفعته الى الرقى والتقدم !!

. . نأتى بعد ذلك الى قول الحق جل جلاله :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ
أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

فى هذه الآية الكريمة يعطينا الله تبارك وتعالى مثل الحياة الدنيا من أولها الى آخرها ، من البداية الى النهاية . فكل ما فى هذا الكون نزل من السماء قبل وجود الخلق ليبدأ دورته على الأرض .

الله جل جلاله يشبه لنا الحياة الدنيا بالماء الذى ينزل من السماء . فبدون الماء الذى ينزل من السماء لا تكون هناك حياة على الأرض . . ولو امتنع المطر لمات كل من عليها من انسان

وحيوان ونبات . . ولأصبحت الأرض صحراء جرداء أو أرضا ميتة . .

اذن أسباب الحياة تأتى كلها من السماء ، انها تنزل طاهرة مطهرة ، فتختلط بالأرض ، وتعطى للناس ما يأكلونه وتأكل أنعامهم . . تعطيهم الغذاء والماء وبما يحفظ حياتهم . .

حينئذ يبدأ الناس فى تزيين الأرض . . وكل ما على الأرض هو زينة لها . . مصداقا لقوله سبحانه تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الآية ٧ سورة الكهف)

ويجب أن نلتفت الى نص الآية الكريمة . . لماذا لم يقل الحق جل جلاله (زينة لكم) . . ؟ ذلك لأن كل ما على الأرض لا يستطيع أحد أن يملكه ، فهو يبقى فى الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فملكيه الناس هى ملكية مجازية . . انهم مستخلفون فيما ملكوا . .

أنا أقول مثلا أنا أملك هذه العمارة . ولكنها فى الحقيقة ستنتقل بعد أن أفارق الدنيا من يد الى يد الى اناس كثيرين ، كل منهم يدّعى أنه مالكها ، ثم يتركها ويمضى ويأتى آخر وهكذا .

إذن كل ما على الأرض من زينة ومن حدائق فيها من الثمرات ، ومن عمارات يتفنن أصحابها فى أن تبدو فى شكل جميل جذاب . . زينة يتمتع بها حتى من لا يملكها بمتعة النظر .

اننا فى الحقيقة نزين الأرض ، والزينة على الأرض تزداد كلما تقدم الإنسان فى العلم واكتشف وسائل جديدة تزيد من زينة الأرض . . وتجعلها مكان اقامة مزيناً للإنسان جيلا بعد جيل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

واذا أردنا ان نجمل مافصلنا نقول : انه ليس مع الله سبحانه وتعالى كيف . . وانه جل جلاله اذا قال « كن » فإن الشيء يكون ، وانه كلما تقدم العلم ظن الناس أنهم قد سيطروا على الأرض وما فيها ويستطيعون أن يفعلوا بها ما يشاءون .

حينئذ يأتى أمر الله ليهلك هذا كله ، وتظهر الحقيقة للبشر كل البشر ، انها لن تظهر كغيبيات مطلوب الإيمان بها . . ولكنها كوقائع مشهودة عندما تأتى نهاية العالم .



الفصل السادس



ونعرف الحقيقة

صلف الانسان وغروورة صورا له ـ بعد ان
كشف الله له بعض اسرار كونه ـ انه قادر
على تسيير الحياة وفق مشيئته وتدبيره ،
فابتعد عن منهج الله وشرع لنفسه ، وهذا
جهل مطبق ، وغرور لا يستند الى اساس ،
واذا كنا نسمع الان صيحات الجهالة بأن
عصر الايمان قد انتهى وبدأ عصر العلم ، فما هذه الصيحات
الا مقدمة لأن يعبد الانسان ذاته ونفسه .
الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ
أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

لقد استطاع الانسان ان يضفى على الارض زينة وزخرفا لم
تعرفها العصور السابقة من قبل . . وكل يوم يعطى العلم
جديدا يزيد فى رفاهية الانسان . . ولكن هل أضاف الانسان
شيئا من اساسيات الحياة وضرورياتها ؟

ويجب ان ندرك جيدا ان الانسان ليس اصيلا فى الكون ،
وانما هو طارىء عليه ، إنه يأتى ويعيش فترة محدودة ثم تنتهى

حياته ، والانسان لا علاقه له بعمر الدنيا ، ذلك أن الدنيا قد يكون عمرها مئات الألوف من السنين او ملايين السنين ، لكن هذا يجب ألا يشغلنا ، انما الذى يشغلنا هو فترة حياة كل منا على هذا الارض . . إنها لن تزيد عن مائة سنة او اكثر قليلا .

ان ثبات الكون يعطينا شعورا (وهميا) بشيئين :

الشعور الاول : ان هذا الكون ليس له نهاية ، ومهما قال الناس عن نهاية الكون ، تجد كل من يعيش فيه يعتقد انه لازال هناك ملايين السنين حتى ينتهى الكون . . وهذا مجرد وهم .

والثانى : هو أن الاشياء التى تخدمنا فى الكون تعطينا بذاتنا . . وهو ايضا وهم . . انها فى الحقيقة تعطينا بقدرات الله سبحانه وتعالى ، وكل شىء فى هذا الكون خاضع لقدرة خالقه ، ولا يحدث شىء فى كون الله يخرج عن مراد الله الفعلى ، ولا يستطيع الانسان الا ان يزين الارض بما اودعه الله فيه من قدرات ، وكل ما على الارض هو زينة لها . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾

(الآيتان ٧ ، ٨ سورة الكهف)

اذن فكل ما هو على الارض وما تراه انما هو زينة للارض نفسها ، وانت تستمع بزينة الارض مادمت عليها ، فإذا انتهى عمرك ، انتهى تمتعك بزينة الارض . . تذهب انت ولكن ما على الارض يبقى زينة لها . . ويوم يأتى امر الله وينتهى هذا

العالم يصبح كل ما على الارض من زينة حطاما . . وينتهى كل شيء .

الله سبحانه وتعالى حين يجد أن الانسان قد اغتر بنفسه وترك منهج السماء رغم ما اعطاه الله سبحانه وتعالى من آيات تثبت ان الخالق هو الله ، تكون مهمة الحياة الدنيا قد انتهت . . ثم يطلع الله سبحانه تعالى بعد ذلك الانسان على الحقيقة وكأنه يقول له :

لقد غرتك نفسك وابتعدت عن المنهج ، واعتقدت أنك تسير الكون بذاتك ، ولذلك سأطلعك على الحقيقة .

ومن هنا يجب ان نتنبه الى معنى الآية الكريمة :

﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾

(من الآية ٢٤ سورة يونس)

بأن هذا ظن وليس حقيقة . . إنهم ليسوا قادرين عليها ، لكنهم يتوهمون ذلك . . وهذا زيف .

حينئذ يأتى الحق سبحانه وتعالى ويغير الشيء الثابت فى الدنيا بطلاقة قدرته التى ليس لها حدود ، ولا تقيدها قيود .

وعن الآيات التى ستتوالى مما لا عهد للانسان به ، والتى تمهد لنهاية العالم . . يخبرنا الله ببعضها كما جاء فى قوله جل جلاله :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

(الآيات من ١ ـ ١٤ من سورة التكوير)

متى تحدث هذه الصور المتعددة ؟ انها ستحدث عندما يوحى الله تعالى الى الارض والكون كله أن يدمر. وماهى إلا لحظات حتى يتدمر الكون كله وينتهى . وفى ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ

﴿ أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ
فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(سورة الزلزلة)

والوحى هو اعلام بخفاء بين المُوحِى والموحى اليه . . لايفهمه احد الا من أَوْحى ومن أُوحِىَ اليه . . والله سبحانه وتعالى يوحى مايشاء لمن يريد ، فليس الوحى مقصورا على الرسل ، لكنه يشمل مخلوقات كثيرة . فالله سبحانه وتعالى اوحى الى رسله ، واوحى الى ام موسى مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ
فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾

(من الاية ٧ سورة القصص)

واوحى الى النحل بقوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

(الاية ٦٨ سورة النحل)

كما اوحى الله الى الحواريين اتباع عيسى بن مريم عليه السلام وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾

(من الاية ١١١ سورة المائدة)

والوحى قد يكون من غير الله سبحانه وتعالى مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ ﴾

(من الآية ١٢١ سورة الانعام)

ولكن الوحى الشرعى هو من الله سبحانه وتعالى للرسل . .

عندما تأتى نهاية العالم يوحى الله سبحانه وتعالى الى الارض . . كيف ؟ لقد قلنا انه ليس مع الله كيف . قد يقول بعض الناس ان الارض جماد لايعقل ، فكيف يوحى اليها الله سبحانه وتعالى ؟

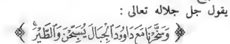
نقول ان الخالق جل جلاله قد جعل لكل خلق من خلقه لغة يتكلمونها . هذه اللغة لانفهمها نحن ، ولكن يفهمها خالقها ويفهمها المخلوق . ولذلك عندما تقرأ القرآن تجد ان الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الاسراء)

ومعنى ذلك ان كل شىء فى الكون مسبح بحمد الله عابد له ولكننا بعلمنا القاصر المحدود لا نسمع ولا نفهم هذا التسبيح . .

يقول جل جلاله تعالى :



﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ ﴾

(من الآية ٧٩ الانبياء)

وإياك ان تعتقد ان هذه المخلوقات التى تراها أقل منك ادراكا أو وعيا ، فقد تكون هذه المخلوقات أوفى منك علما . فالنملة عقلت أنه إذا مر جنود سليمان فإنهم سيحطمون مملكة النمل ، ولذلك صاحت محذرة باقى النمل بأن يدخلوا مساكنهم التى يأوون فيها هربا من الانسان حتى ينجوا من التحطيم . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾

(من الآية ١٨ سورة النمل)

كيف عقلت هذه النملة ان الذى يمر هو سليمان عليه السلام وجنوده ؟ ! ومن اين علمت ذلك ؟ ! . . وكيف عقلت أن سليمان وجنوده إذا مروا فإنهم سيحطمون وادى النمل ؟ ! وكيف عرفت وعقلت ان النمل اذا دخل مساكنه فإنه سينجو من التحطيم ؟ ! لابد ان يكون للنمل علم او عقل هو الذى جعله يفهم كل هذا . . نحن لا ندرى كل هذا بل ونحتقر النملة لصغر حجمها وسهولة القضاء عليها .

واقرأ ما قاله الهدهد لسليمان عليه السلام كما يحكى القرآن الكريم :

﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ

لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا
لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ۝

(الآيات من ٢٢ الى ٢٦ سورة النمل)

كيف احاط الهدهد بما لم يحط به سليمان الذى اوتى مُلْكاً لم يؤته احد من البشر ؟ ..

ومن الذى اخبر الهدهد أن هذه ارض سبأ ، وان الذى يحكم هذه البلاد إمرأة ، وانها ملكة وأن لها عرشا عظيما ، وانها وقومها يعبدون الشمس من دون الله وان هذا كفر ، وان الشيطان هو الذى زين لهم ذلك وصدهم عن سبيل الله ولذلك فهم لا يهتدون ؟ !

من الذى عرف الهدهد ان العبادة لله وحده وأن الله له ملك السموات والارض. الى اخر ما تقوله لنا هذه الايات الكريمة .

كيف عقل الهدهد ذلك بينما نقول نحن عنه انه لا عقل له !!

كيف عرف كل هذه المعلومات وان هذه الارض اسمها مملكة سبأ ؟

ان هذا كله وغيره مما ورد فى القرآن الكريم يؤكد لنا ان هناك علما لمخلوقات الله لا نعلمه نحن البشر ، وانها تستطيع ان تميز وتعقل ، وانها وان كانت مخلوقة بالغريزة ، الا ان الله عز وجل اعطاها ما يمكنها من اداء مهمتها فى الكون . . فإذا كان ذلك مع الحيوان والطير والحشرات ، فإن الارض ايضا

والسماوات تسمعان وتنطقان . .
واقرأ قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾

(الآية ١١ من سورة فصلت)

الله سبحانه وتعالى كلم السماوات والارض وردت عليه السموات والارض بعد ان سمعت كلام الله عز وجل . وفى ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾

(الآيات من ١ الى ٥ من الانشقاق)

ومعنى قوله تعالى (وأذنت) أنها سمعت بأذنها ـ اين نحن من هذا العلم اللانهائى فى هذا الكون ؟ ! اذا كان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا بعض قوانين كونه فاستعلينا عليها وحسبنا ان الكون خضع لنا بإرادتنا ، واننا نستطيع ان نفعل فيه ما نريد وان نأمره هذا الكون فيطيع . . .
اذا تأملنا هذه الآيات الكريمة نجد ان فى الكون علما لانهائيا محجوبا عنا ، وان ما نعلمه هو اقل القليل . .

عندما يعبد الانسان عقله

حين يكفر الانسان بربه ويعبد عقله ويعتقد انه سيطر على الكون ، يأتى أمر الله سبحانه وتعالى ليهدم كل مألوف فى الكون أعطى الانسان هذا الشعور الكاذب بأنه قادر على الأرض ، فينتهى هذا المألوف . . تتكور الشمس وتضمحل وتختفى او تطلع من مغربها او تذهب قوتها وضوؤها . .

المهم ان الرتابة المعهودة فى الشمس والتى الفناها حيث تشرق فى الصباح وتغرب فى المساء تختفى تماما . . وتتغير قوانين الشمس ، والنجوم التى تتماسك مع بعضها البعض بقدرة الله والتى تسير فى مسارات معدة لها بحيث لا يصدم نجم غيره . . هذه النجوم تتصادم وتتناثر ، كذلك الجبال التى على الارض تنسف من مكانها . وفى ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾

(الآية ١٠٥ سورة طه)

أو يخف وزنها . . فهى كالعهن المنفوش ، إن الصورة الكاملة لكل ما سيحدث عند نهاية العالم هو أن المألوف ينتهى . . والذى ألفت انه يخدمك . . وكان يخدمك بتسخير الله له . . قد انتهى تسخير الله واصبح غير مسخر لخدمتك .

الارض التى كانت تعطيك الزرع والثمر الذى تأكله لا تعطيك شيئا ، والجبال التى كانت هى اوتاد الارض تحفظ توازنها ويخزن فيها اقوات البشر تنسف نسفا ، والشمس التى

كانت تعطيك الدفء والنور وتبعث الحياة فى الكون هى الاخرى لم تعد لها مهمة . انتهت مهمتها ، وزينه الأرض التى كنت تظن انها من صنعك وانك ستبقيها ذهبت وتخلت عنك . . كل هذا انتهى . . دنيا الاسباب زالت وانتهت وحتى سيطرتك على نفسك زالت وانتهت .

حتى قدمك لم تعد تخضع لك تمشى بها الى حيث تشاء ، بل اصبحت تخضع لخالقها الذى كان قد استخلفك فيها وجعلها تطيعك فيما تريد ، ويدك التى كنت تبطش بها انتهت سيطرتك عليها ولم تعد تخضع لإرادتك . . بل ان كل أجزاء الجسم التى اخضعها الله سبحانه وتعالى لمشيئتك أصبحت غير خاضعة لك . . فأنت تمشى الى حيث اراد الله ولو إلى جهنم ، ولسانك لا ينطق الا اذا شاء الله . . وعينك لا تبصر الا اذا اراد لها الله دون امر منك . . ولذلك هناك من سيحشر يوم القيامة أعمى وقد كان فى الدنيا بصيرا . . لماذا ؟ . . لأن الله سبحانة وتعالى هو الذى اعطى لعينيه قدرة البصر فى الدنيا . . وهو الذى سلب منه هذه القدرة فى الآخرة

لقد كان الناس يحسبون انهم يعيشون بقدراتهم ، ويمشون بقدراتهم ، ويتكلمون بقدراتهم ، حسبوا انهم عندما اكتشفوا قوانين الريح . . واستخدموها فى اغراضهم الدينوية أنهم قد سيطروا عليها ، ولكن الله سبحانه وتعالى الذى اعطاهم هذه القوانين يسلبها منهم وهكذا كل شىء حولك تغير . . وكل شىء ألفته فى الدنيا يتغير .

هذا بالنسبة لمن سيكونون احياء عند نهاية العالم ، ولكن هل من سيكونون فى قبورهم عند نهاية العالم ستتغير قوانينهم ؟ . . نقول نعم . . لأنها بداية مرحلة جديدة للجميع

ولذلك فإن اجسادهم تعود اليهم ، وارواحهم تعود الى أجسادهم .. يخرجون من الارض وقد ذهب عنهم الموت الذى لازمهم طوال فترة القبور ..

الله سبحانه وتعالى يخبرنا ان فترة القبور ليست أبدية ، ولكنها فترة معينة يغادر بعدها الانسان القبر .. فيقول جل جلاله :

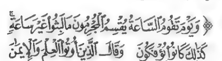
﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾

(الآية ١ ، ٢ سورة التكاثر)

ولابد ان نلتفت الى قوله سبحانه وتعالى « زرتم » .. ولم يقل خُلِّدْتُم أو بقيتم .. ومعنى الزيارة كما نعرفها أنك تذهب عند قريب او صديق لتزورة فتبقى عنده فترة من الوقت ثم تنصرف ، لا تبقى عنده مقيما ولكن زائرا .. وإن طالت الزيارة او قصرت فإنها فترة تنتهى .. ان هذا ينطبق ايضا على الموتى سكان القبور منذ عهد ادم حتى نهاية العالم فهم (زوار) لهذه القبور ، يقضون فيها الوقت ثم يغادرونها ..

ولكن هل يحس الانسان فى القبر بالزمن ؟ .. هل الذين ماتوا من عهد ادم يحسون بزمن بقائهم فى قبورهم ؟

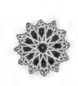
والجواب لا .. ولذلك عندما يسأل الله الناس بعد ان يخرجوا من قبورهم .. « كم لبثتم » ماذا يكون جوابهم ؟ .. اقرأ قوله تبارك وتعالى :



﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الآيتان ٥٥ ، ٥٦ سورة الروم)

إذن ففى حياة البرزخ لا يحس الانسان بالزمن ، لأن الزمن هو قياس للاحداث ، ومادام ليس هناك أحداث فليس هناك زمن . . وان كل من مات مرصود فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى . . وانه سبحانه احصاهم وعدهم عدا . . لا يتخلف منهم أحد يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وان هذا الكتاب لا يفوته شيء ابداً .



كيف ستعود الاجساد ؟



لابد لنا من وقفة هنا . . بعض الناس يتساءل كيف ستعود الأجساد كما هى ، وكيف سيعود الاشخاص كما هم . . مع ان الأجساد بليت ؟

يرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله جل جلاله :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

(من الاية ١٠٤ سورة الانبياء)

وهذا امر يسير على الله سبحانه وتعالى ، لأن الله الذى اوجد من عدم ، وخلق على غير مثال ، اوجدهم فى الحياة الدنيا ولم يكونواموجودين ، ويكون اسهل عليه ان يعيدهم فى الآخرة لأنه ايجاد من موجود ، ونحن نستعمل (اسهل) مجازا لمخاطبة العقول البشرية . . لأنه لا يوجد سهل ولا صعب على الله تبارك وتعالى . . بل كل شىء عليه جل جلاله هين ولا يعجزه شىء فى الارض ولا فى السماء ؟

واذا اردنا ان نقرب هذا الى الاذهان نقول : ان الله قد ميز كل انسان فى الحياة الدنيا بأشياء لاينطبق فيها مع غيره ، واول هذه الاشياء هى بصمة الاصبع . . فلا توجد بصمتان متشابهتان من اول الدنيا الى آخرها . .

وكل جسد إنسانى مميز عن غيره . . لذلك تجد ان خلايا الجسد يعرف بعضها بعضا بشفرة خاصة او بلغة يعلمها الله تبارك وتعالى . فإذا جرح الإنسان مثلا جرحا كبيرا . . تجد ان

خلايا الجسم تتجانس وتتكاثر حتى تلتئم وتعود الى طبيعتها ، فإذا جئنا بعضو من جسد وحاولنا ان نزرعه فى جسد آخر نجد انه يلفظه ولا يتقبله !!

كيف ميز الجسد بين ماهو منه ، وماهو من جسد غيره ، مع ان كل الاجساد متشابهة !! لابد ان لكل جسد شفرة خاصة تميزه عن الجسد الآخر . . وان هذه الشفرة لا تتكرر . . وحتى عندما تنجح زراعة الاعضاء فلابد لمن زرع له عضو من جسد آخر ان يتناول العقاقير والادوية التى تمنع او تقلل من فعالية هذه الشفرة حتى لا تلفظ هذا الجزء الغريب الذى نقل من جسد آخر .

كذلك لكل جسد رائحة خاصة مميزة نحن لا نستطيع ان نميزها ولكن بعض الحيوانات كالكلاب ـ مثلا ـ تستطيع . . ولذلك اذا شم منديلا او قطعة قماش فإنه يستطيع ان يخرج صاحبها من بين مئات الاشخاص .

وهناك عشرات من الاشياء التى تميز كلا منا عن الآخر . . تمييزا يجعلك تستطيع ان تخرج الشخص نفسه من بين مئات الاشخاص .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أعطانا هذا العلم رحمة بعقولنا . . فإنه يجعلنا نفهم انه عندما تعود الأرواح الى الأجسام . . ستعود الى الجسد الذى كانت فيه ، حيث يكون مميزا عن بقية الأجساد التى وجدت من يوم آدم حتى الى نهاية العالم .

صحيح اننا جميعا مخلوقون من عناصر الأرض ، ولكن لكل منا خلق مميز وتكوين يختلف عن تكوين الآخر . . ان نسبة العناصر فى الجسد ليست واحدة وان كانت العناصر واحدة فكل واحد منا يجتمع فيه الستة عشر عنصرا الموجودة فى الارض ، ولكن النسب تختلف بين كل واحد وآخر .

ولتقريب ذلك الى الأذهان فاننا نستطيع بألوان الطلاء ان ننتج درجات مختلفة من اللون لا عدد لها . . فأذا اتينا باللون الأبيض مثلا ووضعنا عليه بعض ذرات من اللون الأصفر لا ختلف ، فاذا زدنا الكمية اختلف اللون ، فاذا جئنا باللون الأحمر ووضعنا عليه نقطة او نقطتين على الخليط لاختلف ، واذا وضعنا سبع او ثماني نقاط لاختلف ، وذلك فإن ضبط الألوان عملية فى منتهى الدقة . . لان كل زيادة من أى لون . . تعطينا لونا جديدا .

هذا بقدرة المخلوق ، فكيف بقدرة الله سبحانة وتعالى .

لقد خلق الإنسان من عناصر الارض . . وهى - كما قلت - ستة عشر عنصراً أساسيا . . كل ذرة من احد هذه العناصر ان زادت تعطى انسانا مختلفا . . وان نقصت تعطى انسانا مختلفا . . وبقدرة الله جل جلاله تعطينا عددا لانهائيا فى البشر .

وهكذا نرى ان تغيرا اساسيا يحدث بالنسبة للانسان عندما ينتهى العالم . . ولكن شيئا واحدا سنختلف فيه جميعا . . هو

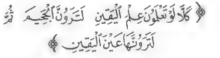
الصعقة التى ستصيب كل ما هو حى الا من يشاء الله .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾

(من الآية ٦٨ سورة الزمر)

ان هذه الآية تلفتنا الى شيئين هما ان الله تبارك وتعالى قد استثنى بعض خلقه من الصعقة التى ستحدث .. فكأن هناك من لن تصيبة الصعقة وهؤلاء فى علم الله .

وعندما ينتهى العالم وينتهى علم الانسان الذى ظن انه سيطر به على الارض .. يعرف الناس الحقيقة ويعرفون ان علمهم كان علما ظاهريا .. مصداقا لقوله جل جلاله :



(الآية ٧ سورة الروم)

عند ذلك يعرف الناس العلم الحقيقى وبعد ان كان هذا العلم قد اعطاه الله سبحانه وتعالى لنا (علم يقين) فى الحياة الدنيا يصبح (عين يقين) .. فهناك علم يقين ، وحق يقين ، وعين يقين . فما الفرق بينها ؟

نقول : إن العلم الذى نأخذه عن الله سبحانه وتعالى هو علم يقين .. لأنه صادر عن الحق جل جلاله . فالمؤمن يوقن ان ذلك سيحدث فعلا وكأنه يراه امامه .

والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾

(الايات ٥ ، ٦ ، ٧ سورة التكاثر)

فكأننا نأخذ العلم عن الله سبحانه وتعالى بأنه علم يقين ، ثم بعد ذلك عندما نري الغيب بعد خروج الروح سواء فى حياة البرزخ او يوم القيامة فإن رؤيتنا له هى رؤية (عين يقين) اى نراه بأعيننا وهو امامنا .. اما بعد الحساب فإن الرؤية تكون فى هذه الحالة حق اليقين ، لانه من يدخل النار ويصبح فى داخلها يكون ذلك (حق يقين) انه تذوقها وأحسها ومن يدخل الجنة يكون ذلك (حق يقين) لأنه قد تذوق نعيمها بعد ان رآها ودخلها .

وهكذا مع نهاية العالم ينتهى كل زيف من علم الانسان ويرى أمامه كل شيء على حقيقته وبلا زيف وفى يقين كامل ، فيرى الملائكة ، ويرى الشياطين ويرى الجنة ويرى النار ويعرف عظمة خالقه جل وعلا .. ويعلم يقينا انه لاحول ولا قوة فى هذا الكون الا لله سبحانه وتعالى ..

وتنتهى دنيا الاسباب بشموسها واقمارها ونجومها .. لتشرق الارض الجديدة بنور ربها سبحانه وتعالى ثم يوضع الكتاب ويقام الميزان وَتُوَفَّى كل نفس ما عملت بعد ان انتهت دنيا الاسباب واصبحنا فى حضرة الله مسبب الاسباب

هذه بعض خواطرى عن نهاية العالم .. والله اسأل ان يوفقنا ويهدينا سواء السبيل .

فهرست

الفصل الأول : — صفحة

المتغير والثابت — ٣

● الانسان .. وقوانين المتغيرات ٨

● العقل واكتشافات الكون ١١

● بقدرات الله .. لا بقدرتك ١٧

● المغيبات والغرور الانسانى ١٩

الفصل الثانى :

البداية والنهاية — ٢١

● الانسان وعناصر الارض ٢٤

● ماهى الروح ٢٧

● الروح من أمر ربى ٢٩

● لا تغتر .. فالموت يأتى بغتة ٣٥

الفصل الثالث

الاستقبال الإيمانى للحياة — ٣٧

● الله احسن الخالقين ٤٢

● هذا خلق الله ٤٤

● الايمان .. والتقدم العلمى ٥٠

● آيات الله .. وارتقاء الكون ٥٣

الفصل الرابع

المألوف ينتهى — ٥٥

● اتباع المنهج .. وقاية للمجتمع ٦٠

● العرض على النار .. كيف ؟ ٦٥

● الزمن .. وحياة البرزخ ٦٨

الفصل الخامس :

الثابت يتغير — ٧٣

● تجربة حية .. للبعث ٧٦

● الاسباب وطلاقة القدرة ٧٩

● عندما تطلع الشمس من مغربها ٨٢
● السماء والدخان ٨٥
● التحدى قائم ومستمر ٨٧

الفصل السادس :
ونعرف الحقيقة 91
● نهاية العالم كما يصورها القرآن الكريم ٩٥
● عندما يعبد الانسان عقله ١٠١
● كيف ستعود الاجساد ١٠٥
● الانسان وعناصر الارض ١٠٧

رقم الإيداع ٣٣٢٨ / ٩٨
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0714 - 6

